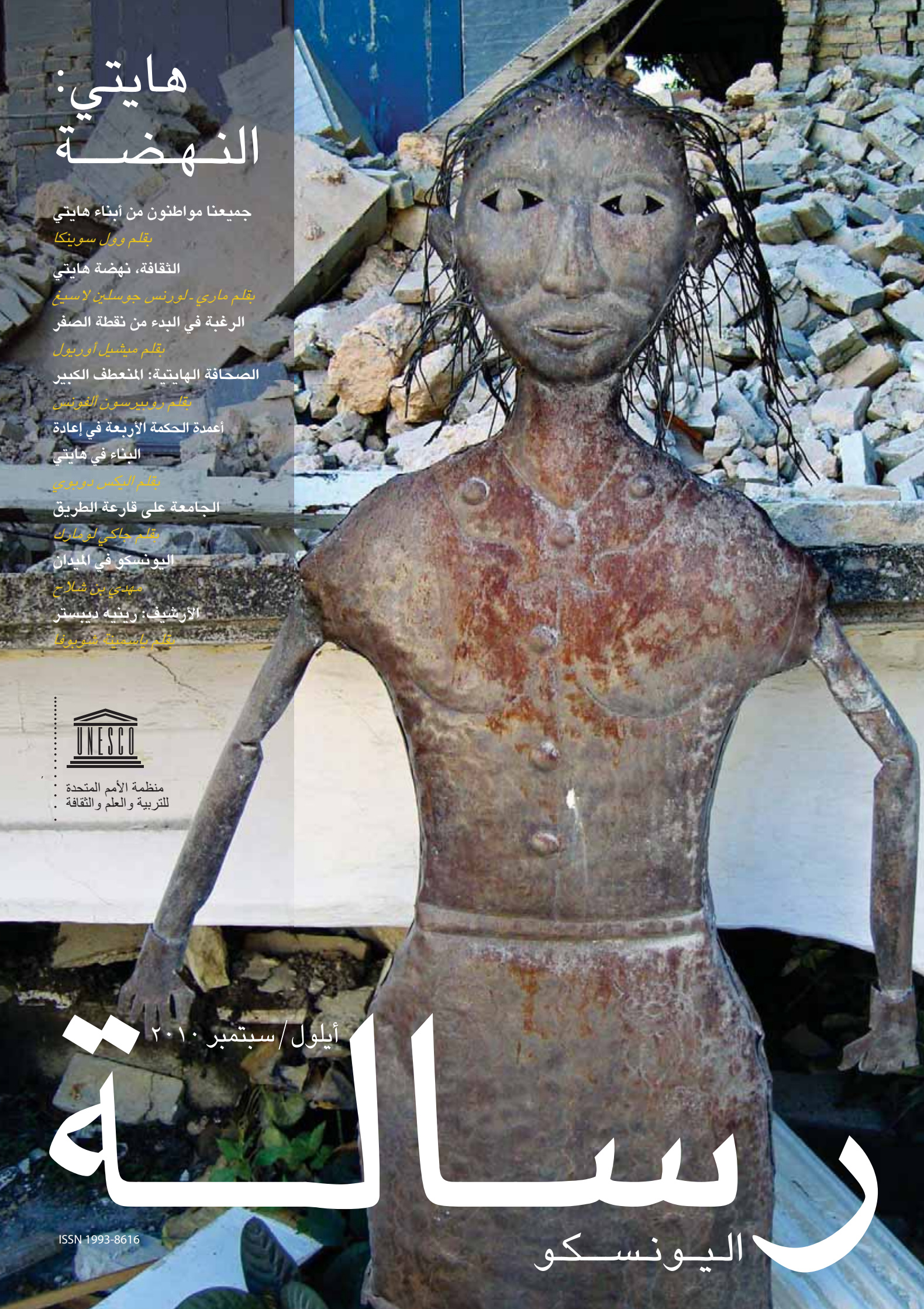

هايتي: النهضة

جميعنا مواطنون من أبناء هايتي
بقلم وول سوينكا

الثقافة، نهضة هايتي
بقلم ماري-لورنس جوسلين لاسيغ

الرغبة في البدء من نقطة الصفر
بقلم ميشيل أوريول

الصحافة الهايتية: المنعطف الكبير
بقلم روبيرسون الفونس

أعمدة الحكمة الأربعة في إعادة البناء في هايتي
بقلم اليكس دوبوي

الجامعة على قارعة الطريق
بقلم جاكي لومارك

اليونسكو في الميدان
مهدي بن شلاح

الأرشيف: رينيه ديبستر
بقلم ياسمينة شوبوفا

UNESCO
منظمة الأمم المتحدة
للتربية والعلم والثقافة

أيلول/سبتمبر ٢٠١٠

رسالة اليونسكو

ISSN 1993-8616

التنوع

عدد من المواقع المتميزة من مختلف أنحاء العالم هي لقاء ما بين التنوع الحيوي والتنوع الثقافي. وتعمل اليونسكو على التأكيد والاعتراف بدور هذه المواقع في مجال الحفاظ على البيئة وعلى مختلف الثقافات.

واليونسكو هي إحدى المنظمات ذات الدور الأساسي في اعتماد السنتين الدوليتين اللتين يحتفى بهما هذا العام ٢٠١٠:

السنة الدولية للتنوع الحيوي: يتمثل هدفها الرئيسي في الحفز على التفكير والعمل من أجل حماية الثروات الحيوانية والنباتية وعلى بيئاتها.
www.cbd.int/2010/welcome

السنة الدولية للتقارب بين الثقافات: يتمثل هدفها الرئيسي في تعزيز احترام ثقافة الآخر وكسر الحواجز بين الثقافات المختلفة.
www.unesco.org/fr/rapprochement-of-cultures

اقرأ:

مجموعة الموارد التدريبية لبلدان الأراضي الجافة: نهج خلاق إزاء التعليم الخاص بالبيئة، اليونسكو، ٢٠٠٨
http://publishing.unesco.org/details.aspx?Code_Livre=4726

الاستثمار في التنوع الثقافي والحوار بين الثقافات
تقرير اليونسكو العالمي، ٢٠٠٩
http://unesdoc.unesco.org/images/0018/001847/184755A.pdf

اتفاقية حماية وتعزيز تنوع أشكال التعبير الثقافي
اليونسكو، ٢٠٠٥
http://unesdoc.unesco.org/images/0014/001429/142919a.pdf

منشورات أخرى:

الفلسفة، مدرسة للحرية
اليونسكو، ٢٠٠٩
http://unesdoc.unesco.org/images/0015/001541/154173a.pdf

رسوم صخرية محفوظة في صالة عرض أنبانغبانغ، في منتزه كاكادو الوطني (استراليا)، وهو موقع للتراث العالمي منذ ١٩٨١. ويحكي فن الرسوم الصخرية في كاكادو ٤٠٠٠٠ سنة من التاريخ.

© مجموعة التراث العالمي

منظمة الأمم المتحدة
للتربية والعلم والثقافة

رسالة اليونسكو

أيلول/سبتمبر ٢٠١٠

الافتتاحية *بقلم: إيرينا بوكوفا، المديرة العامة لليونسكو*

الملف

جميعنا مواطنون من أبناء هايتي *بقلم وول سوينكا*

المسؤولية، حلقة وصْلٍ بين الحرية والتضامن *بقلم برنارد الحجاج*

الثقافة، مهد النهضة في هايتي *بقلم ماري-لورنس جوسلين لاسيغ*

الرغبة في البدء من نقطة الصفر *بقلم ميشيل أوريول*

بعد الزلزال بناء بلد آخر بالفعل *بقلم نانسي روك*

الصحافة الهايتية: المنعطف الكبير *بقلم روبيرسون ألفونس*

وراء حياة أكثر إنسانيةً بقلم راوول بيك

الحلقة المفرغة للاقتصاد الهايتي *بقلم غيرالد شيري*

الثقافة والتنمية: الوجه الآخر للميدالية *بقلم انطونيو فيجيلانت*

أعمدة الحكمة الأربعة في إعادة البناء في هايتي *بقلم اليكس دوبوي*

الجامعة على قارعة الطريق *جاكي لومارك حاورته جين أو ساليفان*

حتى نخرج من معادلة: نفس الأسباب لنفس النتائج *بقلم جان كولانج*

اليونسكو في الميدان *مهدي بن شلاح*

هايتي: مشروع تدريبي يُسهم في إعادة البناء

منهج مدرسي للطوارئ

الأرشيف

كيبي لينيسكو فو

زاوية

إضاءة

التعليم في خطر: تأثير الأزمة المالية *بقلم سامر السامرائي*

التعليم للجميع: نحن لا نفي بوعودنا *بقلم كيفين واتكينز*

وجه

غني العاني: الخط نهر يحمل روافد الفنون بقلم بسام منصور

آفاق

المساواة بين الجنسين: ضرورة لا بدّ منها لتحقيق التنمية *مقابلة مع سام نجوما، حاوراه هانس دورفيل وكلير ستارك*

رسالة اليونسكو – من منشورات منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة
7, place de Fontenoy
75352 Paris 07 SP, France
http://typo38.unesco.org/ar/courrier-archive.html

رئيسة التحرير: ياسمينة شوبوفا
j.sopova@unesco.org

التحرير:
رئيسة التحرير الإنجليزية: كاتي نولان
رئيس التحرير العربية: بسام منصور / مساعدة التحرير: زينة دوفور
محررة الصينية: ويني كواب
محررا الإسبانية: لويسا فوتورانسكي وفرانشيسكو فينسنت ساندوفال
محررة البرتغالية: أنا لأوسيا غويماريس
محررة الروسية: كاترينا ماركيلوفا
المتدربة: نويمي أنتوني

إخراج الصور: دانيكا بجيلجاش وفيونا راين
التصميم: باسيلاين أرتس إل.تي.دي.، أكسفورد
تنفيذ اللغة العربية والطباعة: اليونسكو – قسم المؤتمرات واللغات والوثائق
المعلومات وحقوق إعادة النشر
فيونا راين
f.ryan@unesco.org
+ 33 (0)1 45 68 15 88

يمكن إعادة نشر المقالات بشرط أن تكون مصحوبة باسم الكاتب وعبارة «نسخة عن رسالة اليونسكو»، مع تحديد التاريخ.

تعبر المقالات عن آراء الكتاب وليس بالضرورة عن رأي اليونسكو.

يمكن استنساخ الصور العائدة إلى اليونسكو مع علامة حقوق النشر على الشكل التالي: © اليونسكو / اسم المصور.
للحصول على صور عالية الدقة يمكن الاتصال ببنك الصور:
www.photobank@unesco.org

إن الحدود الموجودة على الخرائط لا تعني الاعتراف الرسمي من قبل اليونسكو أو الأمم المتحدة ،وهذا ينطبق على أسماء البلدان أو الأقاليم المعنية.

نشر هذا العدد بدعم من مكتب التخطيط الاستراتيجي لليونسكو.

© اليونسكو / فيرناندو بوغان

تحفة فنية محفوظة في المركز الوطني للفنون، بور أو برانس، هايتي

أحوال جوية سيئة. مدينة كاب هايتيان.

في هذا العدد

فيما يتجاوز الأنقاض، تتطلع هايتي إلى مستقبلها بنفاذ بصيرة. ففي أعقاب الكارثة التي وقعت في ١٢ كانون الثاني/ يناير ٢٠١٠، يرفض الهايتيون الذي ساهموا بآرائهم في هذا العدد من «رسالة اليونسكو» اللجوء إلى النحيب. فهم وإن كانوا ينظرون إلى الماضي، فذلك لأنهم يرغبون في تحليل الأوضاع الحالية لبلدهم والتفكير في مصيره على نحو أفضل. وإن كانوا يعتقدون أن هذا البلد يفتقر إلى رؤية واضحة، وأنه يخضع لمشاعر التطيّر أو يتوهم أنه وقع ضحية، فذلك لأنهم يريدون إرساء أسس أفضل لإعادة بنائه. وهم يتوقعون من المجتمع الدولي أن يقوم بمساعدتهم الآن على نحو أكثر مسؤولية ممّا مضى، وهو ما طالب به أيضاً خبراء دوليون آخرون ممن شاركوا في منتدى بشأن «إعادة بناء النسيج الاجتماعي والثقافي والفكري» الذي نظمته اليونسكو

في ٢٤ آذار/ مارس الماضي. ومع ذلك، فإن الهايتيين يعتمدون على أنفسهم قبل كل شيء.

وتُعدّ هايتي - « ذلك البلد الذي نُثرت فيه بذور الطغيان مع بذور أول ثورة سوداء»، كما جاء في تعبير الكاتب النيجيري وول سوينكا، الحائز على جائزة نوبل للآداب سنة ١٩٨٦- عملية إعادة تأسيسها. وليس المقصود بذلك إعادة البناء من النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية فحسب، وإنما يتعلق الأمر أيضاً بالجوانب الفكرية والعاطفية والأخلاقية. وتحقيقاً لذلك، تحتاج هايتي إلى الاعتماد بصفة خاصة على التعليم، الذي ينبغي إعادة ابتكاره، وعلى الثقافة، التي تمثل قوة هذا البلد الحيوية الأساسية. وعلى الصعيد الدولي، يندرج هذان الجانبان في مجالات اختصاص اليونسكو التي التزمت، بعد وقوع الكارثة مباشرة، بمساعدة هايتي على إصلاح أوضاعها.

ياسمينة شوبوفا

الافتتاحية

بقلم: **إيرينا بوكوفا**

© أوليفيه بيتو

بلدٌ بكامله يضمد جروحه. فلم يكد يتعافى بعد أن ضربته صدمة أعاصير حتى دمرته هزة أرضية مروعة. ففي ١٢ كانون الثاني/ ديسمبر ٢٠١٠، أصابت هايتي نكبة كبرى: فقد طُمر تحت الأنقاض أناس لا حصر لهم، وتهدمت مساكن عديدة، ودُمرت مكتبات ومتاحف، وانهارت مدارس، وتحطم المبنى الجديد لجامعة كيسكويا، وانهارت كاتدرائية بور أو برانس ... وستظل هذه الصور مطبوعة في ذاكرتنا للأبد.

وتعاني هايتي، منذ بداية هذا العام، مشاعر الحزن والخسارة. ومع ذلك، وعلى غرار تلك «العصافير البريئة» التي « تتعلم من جديد التغريد حينما يبقى الناس صامتين»، وعندما «تلتئم الجروح دونما معاناة»[١]، بدأ الأمل ينبعث من جديد حينما قمت بزيارة هذا البلد بعد مضي شهرين لا أكثر على وقوع الكارثة. وقد أردتُ أن أعبّر عن تضامن اليونسكو مع الشعب الهايتي، وأن أقرر، مع السلطات الوطنية، أفضل وسيلة لتصميم مشاريع المساعدة التي تقدمها منظمتنا إلى هذا البلد.

من الممكن، في بعض الأحيان، إحياء آمال كبيرة إذا تتوافر عوامل التضامن. والواقع أننا قد مددنا جميعاً يد العون إلى هذه الجزيرة التي دُمرت: فلدى انعقاد المؤتمر الدولي للجهات المانحة في ٣١ آذار/ مارس الماضي في مقر الأمم المتحدة بنيويورك، تم الإعلان عن مساهمات تبلغ قيمتها نحو عشرة مليار دولار على المدى المتوسط، وذلك لمساعدة هذا البلد على النهوض.

ولقد وجَّه الرئيس رينيه بريفال نداءً من أجل التعليم فاستجابت اليونسكو على الفور لهذا النداء، وقامت بدعم عدة مشاريع من بينها إنشاء ورش للتدريب على تقنيات البناء المقاوم للزلازل، وإطلاق برنامج طارئ في مجال التعليم، وتقديم الدعم النفسي - الاجتماعي للمدارس (انظر صفحتي ٣٩ و ٤٠)، وذلك بفضل حملة لجمْع الأموال التي انطلقت منذ ١٤ كانون الثاني/ يناير.

الدعامة الثقافية

أنشأت اليونسكو، مع وزارة الثقافة والاتصال في هايتي، لجنة تنسيق دولية لصون الثقافة في هايتي، وذلك في نفس الوقت تقريباً الذي انعقد فيه المؤتمر الدولي للجهات المانحة بنيويورك. وقد انبثقت فكرة إنشاء هذه اللجنة في مقر المنظمة، في ١٦ شباط/فبراير الماضي، لدى انعقاد اجتماع دولي تناول حالة مواقع التراث والحياة الثقافية في هايتي بعد وقوع الهزة الأرضية.

وأُسنِدت للجنة التنسيق الدولية، التي تترأسها وزيرة الثقافة والاتصال في هايتي، ماري - لورنس لاسُيغ، مهمة تنسيق جميع التدخلات في مجال الثقافة في هايتي وحشد الموارد اللازمة لهذا الغرض. وفي تموز/يوليو الماضي، اجتمعت هذه اللجنة لاعتماد «خريطة طريق»، وأوصت، على سبيل المثال، بإجراء عملية مسح لمدينة بور أو برانس، العاصمة، وجاكميل، البلدة المرشحة للإدراج في قائمة التراث العالمي، وتحديد أشكال التعبير الثقافي غير المادية المهددة بصفة خاصة بخطر الاندثار، وتنظيم حماية المحفوظات والكتب وسائر الممتلكات الثقافية المنقولة،

في بعض الأحيان، إحياء آمال كبيرة إذا تتوافر عوامل التضامن. والواقع أننا قد مددنا جميعاً يد العون إلى هذه الجزيرة التي دُمرت.

إيرينا بوكوفا، المديرة العامة لليونسكو و ماري-لورنس جوسلين لاسيغ، وزيرة الثقافة والاتصال في هايتي.
بور أو برانس، ١٠ آذار/ مارس ٢٠١٠.

© اليونسكو/ فـو- راسيل ريفو الان

١- كلمات مأخوذة من قصيدة ألفها رينيه ديبستر تحت عنوان «تقلبات الجو ٩٩».
ورينيه ديبستر هو كاتب هايتي شهير، وُلد في جاكميل، في ٢٩ آب/اغسطس ١٩٢٩، وقد عمل كموظف في اليونسكو.

«إن الثقافة هي الوسيلة الضرورية لأيّ مجتمع كي يضمن الانتقال من الحاضر إلى المستقبل»

آرجون آبادوراي، عالم اجتماع هندي

والشروع في جمع البيانات وإعداد الأدوات المنهجية في قطاع الصناعات الثقافية.

ومن أجل تيسير تنفيذ توصيات لجنة التنسيق الدولية، قررتُ إنشاء لجنة دولية للجهات المانحة سوف تنعقد في بداية عام ٢٠١١ لدراسة الاقتراحات الأولى للمشاريع التي يتعين تنفيذها.

وحتى الآن، خصصت اليونسكو استثمارات تبلغ قيمتها حوالي ٤٥٠٠٠٠ دولار من ميزانيتها العادية في أنشطة تندرج في مجال الثقافة في هايتي؛ ومن بين هذه الاستثمارات مشروع صون المجمع الوطني التاريخي الواقع في شمال الجزيرة والذي يتسم بأهمية رمزية إلى أبعد حد بالنسبة للبلاد. وذلك لأن هذا الموقع الذي يُعد من مواقع التراث العالمي يضم القلعة وقصر سان سوسي ومباني راميه التي يعود تاريخ إنشائها إلى بداية القرن التاسع عشر عندما أعلنت أول جمهورية سوداء استقلالها.

ويتوالى بالفعل وصول الهبات، مثل تلك التي قدمتها مؤسسة بوذية في جمهورية كوريا، والتي ترمي إلى دعم المشروع المسمى «مسرحيات في مخيمات النازحين في بور أو برانس». وإني لحريصة كل الحرص على رعاية هذا المشروع، إذ أن المسرح ينثر بذور الأمل حتى في الأمكنة التي تشهد أشد مظاهر الكآبة واليأس، وذلك بفضل ما يحققه من أغراض تخفيف الألم والعلاج (انظر الإطار).

ولما كنت أعتقد أن الثقافة تقوم أيضاً بدور محرك للمجتمع وللنمو، فإني أرى أن التنمية لا يمكن تصورها بمعزل عن الثقافة. تلك هي حقيقة تلقى قبولاً عاماً: فالثقافة انضمت أخيراً إلى «بلاط الكبار»، أي إلى الاقتصاد والمالية. والدليل على ذلك أن الثقافة احتلت مكانتها في برنامج التقييم المشترك للاحتياجات الخاصة بأوضاع ما بعد الزلزال الذي انطلق في ١٨ شباط/ فبراير الماضي في بور أو برانس.

العناصر الأساسية للمستقبل

فور وقوع الهزة الأرضية، حصلت اليونسكو عل صور التقطتها الأقمار الصناعية من أجل إعداد مسح مفصل لتقييم المخاطر التي يتعرض لها التراث الثقافي في هايتي. وهذا المشروع، الذي سيتم تنفيذه بالتعاون

بذور حقبة جديدة

إن البلد المحروم من الشعراء والقصّاصين والموسيقيين والرسامين والمغنين والفنانين أليس محكوماً عليه بأن يموت من البرد، كما قاله الكاتب والإثنولوجي المالي الكبير أمادو أمباتيه با؟

هايتي لن تموت بالتأكيد. فبعد مرور فترة وجيزة جداً على كارثة الثاني عشر من كانون الثاني/يناير ٢٠١٠، عاد الرسامون إلى الرسم، والشعراء إلى الإبداع، والمغنون إلى التلحين، والكتّاب إلى الكتابة، وعادت الحكايات لتنتشر من جديد.

لقد فكرنا في الهرب، وفي الالتجاء إلى موطن الخيال وابتداع عالمات عجيبة، كما نفعله بجدارة. لكننا تَغيّرنا بعد الزلزال. وبات الدمار بذوراً لحقبة جديدة تحثنا على تجديد الأفكار القديمة من أجل بناء مستقبل ملموس. ولا شك في أن ذلك سيتحقق بمساعدة إبداعنا وخيالنا الواسع إلى أقصى الحدود بفعل ارتباطه الدائم بالمعاناة والألم.

ميمي بارتيليمي، قصّاصة هايتية
اليونسكو، ٢٤ آذار/مارس ٢٠١٠

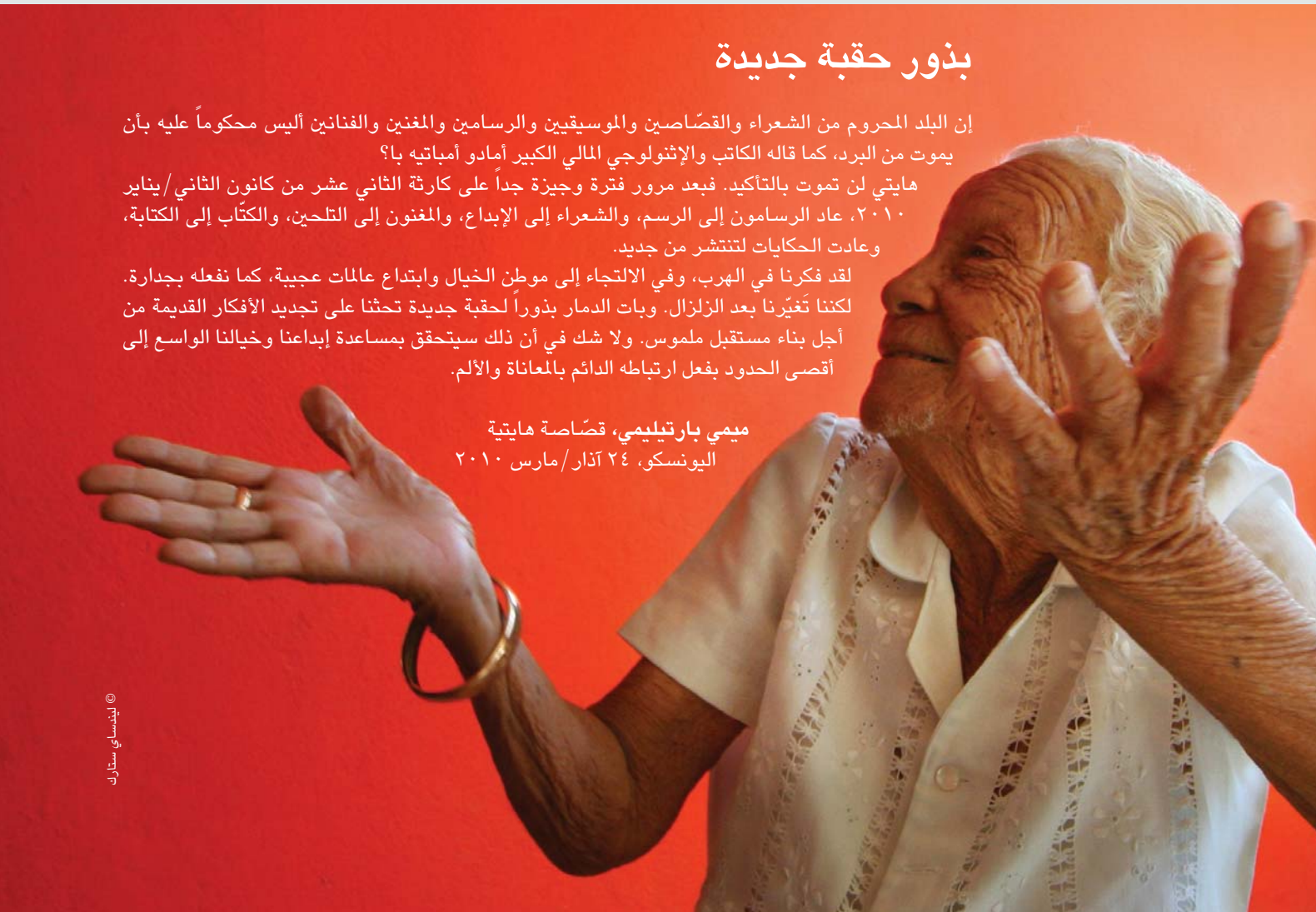

© لينسداي ستارك

مع وكالة الفضاء الأوروبية، يندرج في سلسلة من المبادرات التي اُتخذت في المجال العلمي. أما المبادرة الأولى، وهي الأكثر إلحاحاً، فإنها تتعلق بالمياه بطبيعة الحال. ومنذ كانون الثاني/ يناير الماضي، انصب العمل في البرنامج الهيدرولوجي الدولي لليونسكو على إعداد خطة عمل من أجل إدارة الموارد الهيدرولوجية. ثم إننا قمنا بتحضير مقترحات على المدى الطويل بغية إنشاء معهد للعلوم والتكنولوجيا في هايتي للوقاية من الكوارث الطبيعية يرمي إلى تقييم المخاطر الطبيعية، وتصميم وتنفيذ خطط للعمل للتخفيف من حدة آثارها، وضمان التعليم والتدريب في مجال الوقاية من الكوارث، مع مراعاة توعية عامة الجمهور.

إن توعية المواطنين وتمكينهم من الانتفاع بالمعلومات يندرجان في صميم اهتمامات اليونسكو التي بادرت بالفعل بتقديم مساعدة طارئة ترمي إلى حماية التراث الوثائقي المُعرَّض للخطر. كما قامت المنظمة بإنشاء مشروع لوحدة متعددة الوسائط متنقلة تتيح للمنكوبين، ولاسيما الشباب، الحصول على أدوات جديدة للاتصال. وإني أرى أن هذه المبادرة من شأنها أن تؤدي إلى آثار نافعة ليس فيما يخص الانتفاع بالمعلومات فحسب، بل أيضاً فيما يتعلق بالتلاحم الاجتماعي داخل المخيمات التي تأوي الأشخاص النازحين.

ومع ذلك، فما زال هناك الشيء الكثير الذي يتعين علينا انجازه في مجال العلوم الاجتماعية التي تشكل، شأنها شأن التربية والثقافة والعلوم الطبيعية والاتصال، عنصراً أساسياً (أي ما يُطلق عليه باللغة الكريولية الجميلة اسم «بوتو ميتان») لإنعاش وإعادة بناء هايتي. فالأمر يتعلق بالنسيج الاجتماعي لهايتي برمته الذي ينبغي إعادة بنائه حتى يبزغ في الجزيرة فجر جديد. وجدير بالذكر أن تاريخ أيّ بلد من البلدان لا يمكن أن يُكتب إذا ما اعتبرنا أن الماضي هو بمثابة «صفحات بيضاء» ليس فيها شيء على الإطلاق. بل إن التاريخ يندرج في حركة متواصلة تتشكل مما يثيره من صخب الأحداث وعنف الاتجاهات، فضلاً عما يحققه من انجازات وما يمليه من عِبَر.

ولهذا السبب، فقد حرصتُ على تنظيم منتدى بشأن هايتي في ٢٤ آذار/ مارس الماضي، ضم كتّاباً وصحافيين ومسؤولين سياسيين وخبراء دوليين. وقام هؤلاء، تحت رعاية اليونسكو، بمناقشة السُبل التي ينبغي لهايتي إتباعها للمضي نحو تحقيق التنمية المستدامة. ويعرض هذا العدد من «رسالة اليونسكو» المناقشات التي دارت بينهم في هذا المنتدى والتي تكشف عن الدور المحوري للثقافة والتعليم في إعادة بناء هذا البلد.

© تيلار بيوانى

لحظة مرح يمكنها أن تغذي امرءا لأشهر

يرمي مشروع مسرحي تدعمه اليونسكو بمشاركة فرقة مسرح الشارع «زوفي» إلى إتاحة مجال للنازحين في بورت أو برانس للتمتع بأوقات مليئة بالبهجة والتسلية والتخلص من مخاوفهم بعد الهزة الأرضية التي ضربت هايتي في ١٢ كانون الثاني/يناير ٢٠١٠ وأفقدت الكثير منهم كل ما يملكونه تقريبا. وقد قدمت هذه الفرقة للمرة الأولى، يوم الأحد ١١ نيسان/أبريل ٢٠١٠ ، مسرحية أخرجتها تحت عنوان «زومبي لاغ» بحضور عدة آلاف من الأشخاص في مخيم «أكرا»، الذي يأوي ما يقرب من ٢٠٠٠٠ شخص في خيم وأكواخ مؤقتة أقيمت في جادة «ديلماس»، وهي الشارع الرئيسي في بورت أو برانس.

ويشير جان جوزيف، وهو ممثل في الفرقة المسرحية المذكورة ويقوم بتدريس الفلسفة في إحدى المدارس الثانوية في العاصمة، إلى أن:»هذه المسرحية ترمي إلى إتاحة تجربة علاجية لضحايا الهزة الأرضية، ولاسيما للشباب منهم». ويرى هذا المعلم الذي يهوى التمثيل أنه :»إذا كان المقصود هو مساعدة المتضررين من الزلزال، فلا يكفي إطعامهم. وفضلاً عن ذلك، فإن الأمر لا يتعلق بالصحة البدنية فحسب، بل يتعين أيضا الاهتمام بالصحة العقلية. وينبغي لنا، باعتبارنا ممثلين، أن نساعد كل هؤلاء الأشخاص الذين يعانون من الكآبة واليأس، وأن نحاول إحياء الأمل لديهم. ومن الممكن أن يكون التمتع بذكرى إيجابية وبأوقات مليئة بالمرح بمثابة غذاء يستفيد منه الناس لعدة شهور.»

وتجدر الإشارة إلى أن فرقة مسرح الشارع «زوفي»، التي أنشئت في ٢٠٠٤، تضم ١٤ ممثلاً وثلاثة عازفين على آلات النقر الموسيقية. وتشمل المسرحية الذي تقدمها هذه الفرقة بعنوان «زومبي لاغ» عناصر من ثقافة هايتي مقتبسة من نصوص للكاتب الهايتي فرانكيتيان، الذي نال لقب «فنان اليونسكو من أجل السلام» في آذار/مارس ٢٠١٠. كما أنها تُظهر آلهة ديانة الفودو مثل «بارون ساميدي»، إله الموت، وشخصيات مثل «زومبي»، العبد الميت ـ الحي.

جدير بالذكر أن الطلب يتزايد الآن على هذه الفرقة المسرحية بشكل كبير، وأن اليونسكو تعتزم رعاية مجموعة من العروض المسرحية في مخيمات أخرى للنازحين. م.ب.

مشهد من مسرحية «زونبي لاغ». مُخيّم «أكرا»، ١١ نيسان/ أبريل ٢٠١٠.

جميعنا مواطنون من

بقلم وول سوينكا

أبناء هايتي

"لو اختفى منزل من المنازل، يختفي معه مخزن من الذكريات"، ذلك ما يقوله وول سوينكا، الحائز على جائزة نوبل للآداب، والذي يوجه نداءً من أجل "إحياء روح" هايتي، البلد الذي وقع ضحية التناقضات السياسية وقوى الطبيعة العمياء.

© جان بيير

© اليونسكو / فيرناندو برو غمان

تمثال توسان لوفرتور، رمز من رموز الثورة الهايتية، وقد انقلب أمام القصر الرئاسي في بور أو برانس.

إذا كان في العالم من جزيرة سيئة الطّالع، فهي الجزيرة التي لُقبت فيما مضى باسم إسبانيولا والتي يُعرف النصف الغربي منها بهايتي... إنها أرض التناقضات العميقة التي تجسد في آن أنبل تطلعات العقل البشري وعدوه الأزلي: الحرية والطغيان. وحتى القيم الروحية للقارة السمراء، تلك القيم التي ساندت الشعوب الأفريقية على مدار أجيال من الانحطاط البشري، لم تسلم من آثار التحولات التي فرضها حكم الطغيان. وأضحى الفودو أحد ملامح الوجه القاتم للفلكلور، ومزيجاً يعبّر عن مخاوف الناس من المجهول والسياسة، ويسجن البلد تحت كفن مُعْتِم وشيطاني، لما فيه خير الفن السينمائي. ويبدو اليوم أن القوى الروحانية للطبيعة، التي عُنّفت منذ زمن طويل، تتعرض لوحشية ملموسة أضافت نفسها إلى دوامة الثأر والانتقام لتصيب شعباً بأكمله بآفة الحمق وتغرقه في حالة تجسد الهلع بعينه: حالة «الزومبي» أو الميت الحي. وتسير عملية القيامة ببطء، ويصاحبها ألم لا يُحتمل.

«عندما يضيع كتاب، يمكن استبداله»، بحسب أحد الأقوال الأفريقية المأثورة. «لكن عندما يموت أحد المسنين، تختفي مكتبة بأكملها معه». وسنسامح مجتمعاتنا الغارقة في تقليد الشعراء والسحرة الأفريقيين وغيرهم من الذين يحافظون على ذاكرة الشعوب بألفاظهم، وسنغفر لهم هذه المغالاة لأنها تحمل شيئاً من الحقيقة. فهايتي فقدت الكثير من المسنين والشباب. وفقدت الكثير من المنازل أيضاً. وحجم الدمار الذي حل بالجزيرة يذكرنا بقول مأثور آخر: «عندما يختفي منزل، يزول مخزن للذكريات معه». وهذه الخسارة طالت العالم بأسره، لا المجتمع المحلي المنكوب وحده.

الذاكرة تتفوق على الوجود المادي للآثار. فالأرض التي نُثرت فيها بذور الطغيان مع بذور التمرد، والتراب الذي شرب دم الطغاة ودم الشهداء في آن، يشكلان جزءاً من حكاية شعب

ولم تقتصر الخسائر في هايتي على المكتبات فحسب! فالمكتبات فُقدت بالتزامن مع المباني والسجلات والمحفوظات القيمة التي تحافظ على تاريخ شعب برمته. والكل تحول إلى كومة من الأنقاض والخراب والرماد. والكارثة نفسها حلت بالأماكن والحجارة المقدسة، ومحت بصمات الزمن على الجدران المألوفة، وطالت المساحات المشتركة المتمثلة في الأسواق والأكواخ المعلقة والأشجار المعمرة التي يتجدد المجتمع تحت ظلالها، في حين تتسرب من فم الشعراء والسحرة الأفريقيين قصص من ماضي شعب ومجتمع في طور التكوين، وتمر الهوية الوطنية من جسد المسنين إلى جسد الشباب. تلك هي الخيوط الملموسة لنسيج استمرارية البشر، التي تربط الأجيال ببعضها بعضاً. لكن جشع الطبيعة ابتلع في هايتي معظم هذه الخيوط. وحتى الشوارع المبلطة التي تذكر بالماضي، وبقايا الأزمان والآثار التي تشهد على الوجه المنتصر للتاريخ بقدر ما تشهد على وجهه المؤلم، لم تسلم من جشع الطبيعة. لكن الذاكرة تتفوق على الوجود المادي للآثار. فالأرض التي نُثرت فيها بذور الطغيان مع بذور التمرد، والتراب الذي شرب دم الطغاة ودم الشهداء في آن، يشكلان جزءاً من حكاية شعب تتجلى في الفصول والشروح والدلالات المُعبِّرة التي تواكب مسيرة هذا الشعب اليومية، حتى في أبسط الأنشطة. وتحولت هذه العناصر اليوم إلى مادة مسحوقة ومهروسة تختلط في مزيج معقد يصعب فهمه، وأضحت مجردة من معناها المجتمعي. وكانت للجرافات الكلمة الأخيرة. والمساحات المقدسة للأسطورة الهايتية انصهرت مع الركام، ذلك الميراث المحتم الذي خلفته وراءها كارثة عمياء.

وكم من مرة راق للكتاب، أياً كان عرقهم، أن يحتفلوا بانتصار المقاومة الهايتية التي قادها الحاكم العام ديسالين في وجه الجيوش التي أرسلها نابليون بونابرت، المسكون بهوسه الإمبراطوري، لإعادة تجارة الرقّ إلى الجزيرة! لكن هايتي تصدت ومزقت غرور أوروبا التي أرادت أن تجسد بنفسها عالم المعرفة. لكن

فيما هو أبعد من المواجهة بالسلاح، جسدت هايتي الإرادة العليا لشعب نجح في تأسيس أول جمهورية سوداء مستقلة في العالم، وهو حدث تم تمجيد أبطاله أمثال توسان لوفرتور على لسان الشعراء والكتاب المسرحيين، وتم تخليد ذكراهم في الرخام والنجود، وفي اللوحات وعلى الجدران، وبريشة الرسامين وخيوط الحائكين وأيدي النحاتين المتحمسين، أكانوا فنانين محترفين في قاعات العروض الرسمية أو رسامين «فلكلوريين» يعرضون أعمالهم على الأرصفة، من هارلم حتى جنوب أفريقيا! هذه الوجوه صمدت عبر القرون. واليوم، نواجه احتياجات الصامدين في الزمن الحاضر، ألا وهم الورثة المباشرون لهذا التاريخ المجيد، الذين يعيشون أمناءً لإنجازات الأبطال ويشكلون مصدر إلهام لإبداعنا.

وعبء هؤلاء الورثة بات عبئنا، وشهادتهم، شهادتنا. وأملهم في الصمود، أملنا. وإذا خناهم وأنكرناهم، فسنكون قد قبلنا بانتصار الطبيعة العمياء على الصمود والإبداع البشريين، وسنكون قد خنا أنفسنا. ولن ننجح في التحكم بالمصير إلا إذا أبعدنا رائحة الموت الكريهة وشبح الخوف بعصا سحرية تجسد الإيمان بالمستقبل، طابعين قبلة حياة على جبين الأيتام والجرحى والعائلات التي لبست ثياب الحداد.

وترمي هايتي اليوم شباكاً من الذكريات التاريخية غير متكافئ إطلاقاً مع مساحة الجزيرة. ويشكل هذا الشباك مصدر إلهام وتحذيراً في آن. وتجسد هايتي مجد العرق الأسود ومأساته. لكن هذا الشعب لم يواجه يوماً تحدياً بهذا الحجم، في حدث من هذا النوع. وهايتي ليست مجرد رمز، بل أضحت، في مرحلة من مراحل تاريخها، حقل تجارب مذهلاً لمصير البشر في المواجهة الأزلية بين الهيمنة والاستقلال، والسلطة والحرية. وهايتي هي عبرة، ليس فقط للعالم الأفريقي، بل أيضاً للبشرية جمعاء. لذا، فإن الضربة القاسية التي وجهتها الطبيعة مخلفةً وراءها آثاراً سيتعذر محوها على الأرجح قد طالت أولاً الشعوب الأفريقية أينما وجدت، وطالت أيضاً على نطاق أوسع المجتمع العالمي الموجود في أماكن حيث للحرية ثمن، وحيث يُنظر إلى التاريخ والتراث والذاكرة على أنهم عوامل ترابط للعيش المشترك.

ويجب بالتالي منع هايتي من أن تنحني أمام الموت أو الركود أو التدهور. وصحيح أن الإنسان يدفع ثمناً غالياً لمثل هذه الفرص في بعض الأحيان، إلا أن هايتي دفعت أكثر مما ينبغي لها أن تدفع، وذلك بدفعة واحدة! وآن الأوان لنغتنم بدورنا هذه الفرصة ونساعد أصحاب الرؤى على إعادة بناء المجتمع الهايتي على المستويات الأخلاقية والاجتماعية والفكرية.

لقد بُذلت جهود كثيرة حتى الآن، ونحيي الاستجابة الإنسانية التي شهدناها في كل أنحاء العالم. لكن لا يمكننا أن نكتفي بهذا القدر لأننا لا نعلم أي جزء من إنسانية هايتي، أي إنسانيتنا نحن، لا يزال يهيم تائهاً في هذه اللحظات، ويبحث عن الطعام مع الكلاب والجرذان، متقوقعاً تحت أسقف ملاجئ مرتجلة، حيث تهدد الأمهات المستقبل بين أيديها، وهي تموت جوعاً، وتستغيث بأعينها الجاحظة الصامتة بالخيّرين المزعومين والمتوارين عن الأنظار.

وفي حين يتسارع أطباء العالم لمساعدة الجرحى ومرضى الصدمات النفسية، عن طريق إعادة بناء المستشفيات والعيادات، وإرسال الأدوية والغذاء، يتعين على الكتاب والفنانين والمفكرين أن يتكاتفوا لشفاء النفس. ويجب العمل على إعادة ملء المكتبات، وبناء المتاحف، وإحياء المدارس. ويمكن للكتاب أن يساعدوا الشعب الهايتي من خلال تقديم الكتب، أكانت كتبهم أو كتب زملائهم. وعلى الرسامين أن يقدموا لوحاتهم، والمهندسين، كفاءاتهم، والمدرسين، كل أشكال الدعم التربوي. ومن المؤكد أن هايتي لن تعود يوماً تلك الجزيرة التي عرفناها، وأن بورت–أو–برانس لن تستنشق بعد الآن عبير ماضيها المضطرب. لكنه يمكننا أن نولد من تحت الأنقاض كياناً اجتماعياً جديداً ونابضاً بالحياة ليصبح صرخة تضامن عالمي، وتأكيداً على قدرات العقل البشري، ومركزاً متقدماً وثابتاً لقارة أم غسل أولادها المشردون عار تجارة الرقّ وحولوا مركزاً لليد العاملة إلى قلعة تحد وفكرة من أفكار الحرية. ■

في حين يتسارع أطباء العالم لمساعدة الجرحى ومرضى الصدمات النفسية، عن طريق إعادة بناء المستشفيات والعيادات، وإرسال الأدوية والغذاء، يتعين على الكتاب والفنانين والمفكرين أن يتكاتفوا لشفاء النفس.

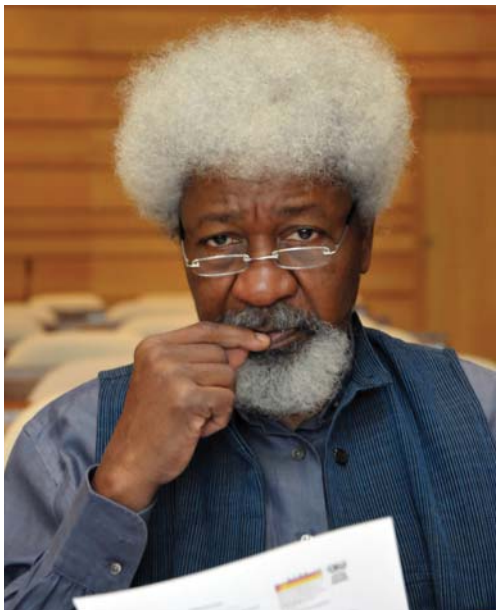

© اليونسكو / ميشال رافسار

١. جان جاك ديسالين (١٧٥٨-١٨٠٦)، قائد الثورة الهايتية، أعلن نفسه أول إمبراطور لهايتي (١٨٠٤-١٨٠٦) واتخذ اسم «جاك الأول».

٢. توسان لوفرتور (١٧٤٣-١٨٠٣)، رمز من رموز الثورة الهايتية وحاكم سانتو دومينغو (الاسم القديم لهايتي).

حاز **وول سوينكا** (نيجيريا) على جائزة نوبل للآداب عام ١٩٨٦، وهو عضو في الفريق الرفيع المستوى المعني بالسلام والحوار بين الثقافات الذي أنشأته المديرة العامة لليونسكو، إيرينا بوكوفا، عام ٢٠١٠. وأسس هذا الروائي والكاتب المسرحي فرقتين مسرحيتين هما «ذا ١٩٦٠ ماسكس» (أقنعة عام ١٩٦٠) و«أوريسان ثياتر» (مسرح أوريسان). ويعمل سوينكا حالياً أستاذاً فخرياً في الأدب المقارن في جامعة أوبافيمي أوولوو بنيجيريا، وهو عضو فخري في معهد «بلاك ماونتن» في جامعة نيفادا، ورئيس الأساتذة في جامعة لويولا ماريمونت بلوس أنجلوس.

© موقع ليا غوردون : www.leahgordon.co.uk

المسؤولية، حلقة وصل بين الحرية والتضامن

بقلم برنارد الحجاج

منذ حصول هايتي على الاستقلال في عام ١٨٠٤، تعرض تاريخها لصدمات متتابعة، وهو ما وضع العراقيل أمام عملية بناء حريتها. وقد كان من شأن المواقف غير المسؤولة للقوى العظمى والقادة السياسيين الوطنيين أن وضعت البلاد في طريق مسدود. وليس هناك سوى مخرج واحد، ألا وهو القيام بعمل يستند إلى المسؤولية والتضامن على المستوى العالمي.

شخصية من شخصيات كارنفال جاكمل ترمز إلى تحرير الرق.

إن الصورة التي يقدمها المؤرخ والدبلوماسي الهايتي عن بلده هي أنه بلد «**تعرض للعدوان، والعزلة، والأطماع**، وضغوط سياسة القوة، والانقسام، والتسلط العسكري، وتدهور الأوضاع». وفضلاً عن ذلك فهو يقول:»إن استقلال هايتي، الذي ما زالت تكتنفه تهديدات خلال تاريخ اتسم بالاضطراب والفوضى، هو أمر أقرب إلى المعجزة».

والواقع أن هايتي، التي هي أول جمهورية سوداء، قد خضعت لضغوط قوية، خارجية وداخلية، أدت إلى اضطراب مسيرتها إلى حد بعيد. فبالإضافة إلى العزلة التي فرضتها القوى العظمى التي لم تقبل أن يتحرر «القزم الصغير» الزنجي، فقد عانى هذا البلد من أنظمة حكم استبدادية استندت إلى تهميش شعب ظل في أوضاع قاسية من العوز واليأس.

فمن ناحية، اتسم سلوك القوى العظمى بالقسوة، وذلك عندما استنفدت فرنسا الموارد المالية ذات الأهمية بالنسبة لبلد ناشئ، أو إبان الاحتلال الأمريكي للبلاد في بداية القرن العشرين والذي دام ١٩ عاماً. ومن ناحية أخرى، كان من شأن حقبة الرق القاسية، والتي دامت زمناً طويلاً، أن تأثرت الصلات الاجتماعية والاقتصادية للمجتمع الهايتي بشكل دائم. أما العلاقات بين السيد والعبد، أو أوجه التفاوت بين أهالي «بو لان مي» (شاطئ البحر) وبين أهالي «جوو سوليي» (الفلاحون)، والتي تمثلت في انقسامات مجتمعية استمرت بعد القضاء على الرق، فما زالت تعيق بناء مجتمع هايتي، وذلك رغم مرور أكثر من قرنين على استقلال البلاد.

ومن هنا فإن المرء يتساءل: كيف يمكن التخلص من أغلال الرق بشكل حقيقي؟ وكيف يمكن إقامة الحرية؟ وذلك لأن من الواجب إضفاء مضمون على الحرية من أجل «ألا يتحول اختبار الحرية إلى أمر يصعب احتماله»، كما قال كورنيليوس كاستورياديس، الفيلسوف الفرنسي، اليوناني الأصل، مستطرداً :» إن اختبار الحرية يصبح أمراً غير محتمل إذا لم يكن من الممكن إنجاز أي شيء عن طريق ممارسة هذه الحرية».

هذا، وإن كان توسان لوفرتور العظيم، ومن بعده الآباء المؤسسون لجمهورية هايتي قد انتصروا في المعركة الأساسية المتعلقة بالنزعة الإنسانية، فمن الواضح أنهم أخفقوا في وضع ميثاق اجتماعي جديد.

الحرية

استمرت بالفعل علاقات العبودية، وذلك في وقت مبكر جداً بعد حصول هايتي على استقلالها. فقد حل الجنرالات ـ المزارعون محل المستعمرين، وتم الزج بالرقيق القدماء في أعمال السخرة في المزارع. ولم يكن من الممكن على الإطلاق أن يكون لهؤلاء الرقيق صوت مسموع فيما يعنيهم من قضايا؛ فظلوا عاجزين عن ممارسة حرية التعبير أيًّا كانت، ومحرومين من الحق في التشاور والابتكار. أما حالة العبيد الآبقين، التي كانت محل تقدير فيما مضى باعتبارها شكلاً من أشكال مقاومة ظُلم الاسترقاق، فإنها أصبحت تُعد جنحة تشرد تعرض مرتكبها لجزاءات قانونية قاسية، وذلك منذ أن وُضع أول دستور للبلاد في عام ١٨٠١. وظلت السيطرة العسكرية في الميدان الزراعي معمولاً بها حتى عام ١٩٠٤، أي بعد مرور قرن على حصول هايتي على استقلالها. وهكذا تم إقصاء الفلاحين الذين حققوا التحرير من الحوار الذي لا غنى عنه لقطع الصلة بالماضي الاستعماري.

ومن البديهي أن البنية الراسخة للعلاقة بين السيد والعبد تجعل من الصعب ممارسة الحرية عن طريق القانون، فهي من الثبات بحيث أنها تقوض دعائم السيكولوجية لتلك المنطقة من العالم وتفكك الهياكل الأسرية. والواقع أن تصور الأب قد قلّ شأنه، نظراً إلى أن تصور السيد قد حل محله، وهو ما أفضى إلى عدم استقرار قوة القانون: فتصور السيد المتوعد، الذي يتجاوز القانون، ويرمز إلى العنف والغموض، تتعارض مع تصور الأب الذي يكفل النظام. ويذهب جاك أندريه، أخصائي التحليل النفسي الفرنسي، في كتابه المعنون «نكاح المحارم البؤري في الأسرة الزنجية في منطة الأنتي» (١٩٨٧)، إلى أن :»كلام الأب

هو كلام يقوله وفقاً للقانون [...] أما كلام السيد فليس سوى ترديد صدى ما يقوله».

إن هذه الظروف المتسمة بعنف سياسي وسيكولوجي هي التي أتاحت تعلم الحرية في هايتي. بيد أن التخلص من الاسترقاق إنما يعني تجاوز الصورة السلبية التي يُكوِّنها المرء عن ذاته، وإيجاد سُبل واضحة كل الوضوح من شأنها أن تؤدي إلى تحرر حقيقي، وذلك بالرجوع إلى الذات واستلهام ما فيها من قدرات، لا عن طريق الخضوع من جديد لعلاقات السيطرة التي يفرضها الأسياد على العبيد في المزارع. كما أن التخلص من الاسترقاق إنما يتمثل في إثبات تقدير الذات.

ومنذ سنوات قليلة، أي في عام ٢٠٠٤، أشار الكاتب الهايتي رينيه ديبستر إلى شكل آخر من أشكال الرق الذي ما زال شعبه يخضع لها، وذلك في خطاب أرسله إلى أحد مواطني بلده، وهو كارل فومبران، وقال فيه:»ينبغي لنا السعي إلى إلغاء أشكال الرق الداخلية التي تفرضها إيديولوجيات التوحش على وجدان هايتي التعيس.» ويضيف قائلاً:» كما ينبغي لنا بذل مجهود غير مسبوق لتعزيز الشعور بالمسؤولية، وذلك في مواجهة بركة الأصفار التي تراكمت خلال قرنين من القصور والعجز، حيث راوحنا مكاننا شأننا في ذلك شأن أشباه الموتى (الزومبي) في المعتقدات الفودّوية».

« علينا أن نقول للذين يعتبرون أن إعادة دراسة الماضي كما وردت في هذه المقالة ليست سوى نوع من المماحكة، إن هذه الإعادة إنما تمثل الشرط الذي لا بد منه للانفتاح على المستقبل. فالمقصود ليس هو البحث عن أشباح ماض يتوهمون أنها اندثرت، بل المراد، كما يقول الفيلسوف الفرنسي إيمانويل ليفيناس، هو «إحياء راديكالية ذاكرة تشمل، في إطار أحداث التاريخ غير المتوقعة، توتراً مستمراً ومثمراً بين الماضي والمستقبل، وبين ما هو خاص وما هو عام». ب.ح

المسؤولية

يمكن للمجتمع، وفقاً لطرائق تنظيمه السياسي وعقائده الدينية، أن يعزز الشعور بالمسؤولية لدى الذين يعيشون في كنفه أو أن يحدّ من هذا الشعور. أما من الناحية السياسية، فإن الطغاة العسكريين والرؤساء الشموليين الغوغائيين، في هايتي، يعتبرون أنفسهم كما لو كانوا ينتمون إلى طبقة عليا من المُخلِّصين، معتقدين أنهم يؤدون مهمة إلهية. وإذا ما اُعتبر رئيس من الرؤساء بمثابة ظل الله على الأرض، فليس للشعب أن يعترض أو يبدي رأياً في ذلك الأمر.

أما على صعيد العقائد الدينية، فقد أشار عالم الإثنولوجيا الهايتي شارل ـ بواسيه رومان إلى أن الكنائس البروتستنتية شجعت نشر تفسيرات تعلو على مستوى الطبيعة لظاهرة التخلف في البلدان النامية. فقد طرح في كتابه المعنون «البروتستنتية في المجتمع الهايتي» (١٩٨٦) هذا السؤال:»ألا ينبغي توجيه اللوم إلى الكنيسة لتشجيعها اعتناق مذهب القضاء والقدَر، مما يعني تكوين أناس لا يعملون شيئاً؟». وبعبارة أخرى، فإن هذا المذهب الجبري يفضي إلى الخمول والسكون، وإلى الاكتفاء بالتفرج بدلاً من إلقاء نظرة نقدية على الأوضاع الحالية.

ويُضاف إلى ذلك المعتقدات الفودّوية التي ترمز إليها الطقوس التلقينية المسماة «لافي تيت». وتتمثل هذه المعتقدات في تزويد من يعتنقها بما يعُرف باسم «لاو»، وهو ملاك حارس أو روح مجيرة. ويرى عالم الأنثروبولوجيا الفرنسي روجيه باستيد أن هذا الملاك، أو الروح، هو شيء مغاير لجسد الشخص الذي يتلقاه، إذ أنه يُشكل عقل هذا الشخص، وحساسيته، وحياته السيكولوجية؛ وحاصل القول إنه الروح في مقابل النفس». وإن كان ذلك يعني على وجه التحديد «ازدواج الشخصية»، فإن السؤال المطروح هو معرفة من هو الجانب في الشخصية المزدوجة المسؤول عن أفعاله. فعندما تُرتكب جريمة ما، يثار السؤال: من هو المذنب؟

وجدير بالذكر أن الهايتيين كثيراً ما يقولون :»سي با فوت موين» (ليس الذنب ذنبي)، و»سي با موين ميم» (لست أنا من فَعل ذلك)، و»سي دي ميي» (أنا مزدوج الشخصية) ...ومن ثم فإن المسؤولية، التي تمثل الشرط الذي لا غنى عنه في إطار أي شكل من أشكال الحرية، تصبح أمراً نسبياً تماماً. كما أن مبدأ التعويض المتعلق بتحقيق العدالة لن يبالي به أحد. وهكذا يتم الإفلات من العقاب. ومما هو جدير بالملاحظة أن المبدأ المزدوج المتمثل في «العنف ـ الإفلات من العقاب» يؤثر تأثيراً لا حدّ له على سيكولوجية الجماهير الهايتية.

أما الكاتب الهايتي روجيه بيريرا فقد قال في مقالة له بعنوان «هايتي أو اختبار الحرية» (٢٠٠١) :» إن تقويم العقليات إنما يتحقق عندما نعترف بفشلنا الجماعي». وأضاف:»إننا جميعاً نكوِّن جزءاً من المشكلة؛ وذلك هو الشرط الوحيد الذي بموجبه نصير جزءاً من حل المشكلة».

التضامن

على الرغم من أن المسؤولية هي في واقع الأمر مسؤولية شخصية تماماً، فمن البديهي، وفق ما ذهب إليه الفيلسوف الإسرائيلي مارتين بوبر، أن كل إنسان إنما يتحدد وجوده مقابل وجود الغير. فكل شخص إنما يشارك في كيان ثنائي الحدّ يمثل مجال العلاقات بين الأفراد. والعلاقات بطبيعتها هي علاقات تضامن.

وإن كان هناك شرط أول لتحقيق التضامن بين الكائنات البشرية، فإن هذا الشرط هو الحرية على وجه التأكيد، وذلك وفق ما ذهبت إليه هانا أرنت[١] ، وهي الحرية التي تتحد بالسياسة، أي ذلك المجال العام الذي يستند إليه مبدأ «العيش معاً» عن طريق الحوار. وليس من الممكن ممارسة الحرية إلا في إطار المجتمع؛ كما أن الحرية هي تعبير عن مشاغل الغير، قريباً كان أم بعيداً، أي أنها تتمثل في الحرص على المصلحة العامة.

إن المبدأ المزدوج، وهو الحرية ـ المسؤولية، يشكل كلاً لا يتجزأ، وليس من الممكن تعميمه بالكامل إلا من خلال التضامن الذي يمثل شرطاً لا بد منه حتى لا تتحول الكائنات البشرية إلى ما يطلق عليه الفيلسوف الفرنسي جان ـ كلود ميشيا اسم «الجواهر الفرَدة الأنانية» والتي لا روح فيها. ومن ثم فإن العالَم الذي يفتقر إلى التضامن تتعرض فيه الكائنات البشرية للزوال.

وفي الأوقات العصيبة التي تعيشها هايتي على أثر الهزة الأرضية التي حلت بها في ١٢ كانون الثاني/ يناير ٢٠١٠، فإن القضية المحورية التي تثور بإلحاح أكثر من أي وقت مضى هي التي تخص المسؤولية ـ أي مسؤولية الهايتيين ومسؤولية المجتمع الدولي ـ والمسؤولية على الصعيدين الوطني والعالمي. وجدير بالذكر أن على اليونسكو أن تضطلع بدور فيما يخص تشجيع الهايتيين على الأخذ بمبدأ المسؤولية في مجالات الحوار في هايتي، ولاسيما في مجال التعليم، وذلك وفقاً لمهمتها الخاصة بالرصد الفكري ونشر المعارف والقيم الأخلاقية،. فالمقصود هو إعادة البناء المادي في البلاد، على أن يقترن ذلك بإعادة البناء الاجتماعي القائم على المواطنة والذي يستند إلى التعليم والثقافة.

هانا أرنت (١٩٠٦ـ ١٩٧٥) كانت تشغل منصب أستاذ للنظريات السياسية؛ وهي من أصل ألماني وتجنست بالجنسية الأمريكية.

© اليونسكو / ف. و. راسيل ريفولان

برنارد الحجاج، هو موظف في اليونسكو، حاصل على شهادة الدكتوراه في العلوم الاقتصادية الاجتماعية الخاصة بالموارد البشرية. وبعد عشرة أعوام أمضاها في مجال البحوث المتعلقة بالعلوم الاجتماعية، شغل الحجاج منصباً في وزارة التعاون الفرنسية، كما عمل كمدير لبعثات التعاون والأنشطة الثقافية لمدة عشرة أعوام تقريباً في هايتي وبنين وجيبوتي. والحجاج هو أفريقي اختار هايتي وطناً له، ويظهر ذلك من خلال ما أورده من شهادات موثقة ومؤثرة في مؤلفين هما: «المنبوذون بسبب العولمة: أفريقيا على الهامش» (١٩٩٨) و»السنة القادمة في بور أو برانس: التخلص من الرق (٢٠٠٧).

أندريه بيجين، نحّات من مجموعة نحاتي حي "غراند رو"، بورآو برانس.

موقع مجموعة نحاتي حي غراند رو: www.atis-rezistans.com – © ليا غوردون – www.leahgordon.co.uk

الثقافة، مهد النهضة في هايتي

بقلم ماري ـ لورنس جوسلين لاسيغ وزيرة الثقافة والاتصال في هايتي

رغم أن هايتي تُعتبر مهداً حقيقياً للفنون، فإنها لا تستغل بقدر كاف مواردها الثقافية للأغراض الإنمائية. وترمي خطة العمل الجديدة الخاصة بالمجال الثقافي إلى اتخاذ تدابير للتوعية وتعزيز الوسائل التي ننقل من خلالها أفكارنا وإبداعاتنا، مع استهداف الشباب على وجه الخصوص.

عمل فني يمثل انتصار الفنون

© صور الأمم المتحدة/ ماركو دورينو

هل تُعتبر إعادة بناء هايتي ثقافياً «تحدياً؟ أم خرقاً للعادة؟ أم مخاطرة؟»، كما جاء في تعبير الكاتب الزنجي الأمريكي ريفورد لوغان الذي قاله عندما تحدّث عن نشأة دولة أمة جديدة في هايتي عام ١٨٠٤ على نحو غير متوقع.

لا شك أن الأمر لا يتعلق بظاهرة خارقة للعادة، ولا بمخاطرة، وإنما بتحد، وذلك لأن المقصود ـ بعد تواجد تاريخي يدوم منذ قرنين من الزمان، ويشهد تقدماً وتقهقراً، أفضت إليهما حيناً عوامل خارجية، وحيناً عوامل داخلية، ومنذ وقوع كارثة الزلزال في ١٢ كانون الثاني/ يناير ٢٠١٠ـ هو إحياء هايتي، لا أكثر ولا أقل. وما الذي بقى بعد سقوط مئات الألوف من الضحايا وانهيار عدد لا حصر له من المباني، ويمكن أن يكون بمثابة مهدٍ لهذه النهضة؟ إن الذي بقى هو الموارد الثقافية لهايتي. ففي أوْج الاحتلال الأمريكي لهذا البلد، ذكر الدكتور جان ـ برايس مارس، بحدة أبوية تُحمد عواقبها، في كتابه اللامع الذي صدر عام ١٩٢٨ تحت عنوان «هكذا تكلم العم»، أن هذه الموارد الثقافية هي التي تُحيي وتُبْقي بلادنا.

لقد حان الوقت لكي نُثبت أن الغاية من التنمية إنما هي في سعادة الناس، وأن الثقافة هي عنصر أساسي في عملية التنمية في بلدنا؛ وليست مجرد أمر فرعي أو كمالي لا يخص سوى أفراد النخبة؛ بل إنها الرباط الذي يُكوّن نسيج المجتمع، ويُشكل قوته ويساهم في رفاهيته، ويتفاعل مع اقتصاده.

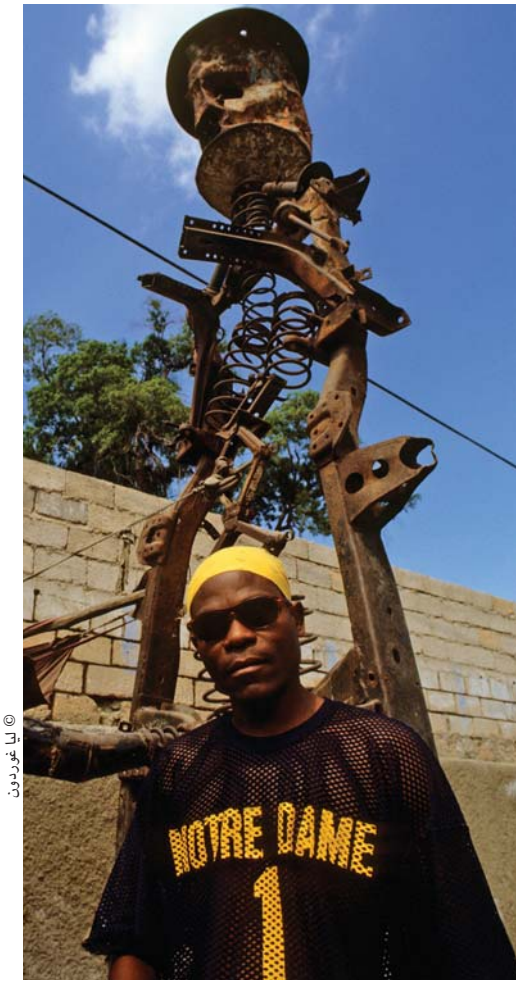

© ليا غوردون

www.atis-rezistans.com :موقع مجموعة نحّاتي حي «غراند رو»

سيلير جان هيرارد، نحّات من مجموعة نحّاتي حي «غراند رو»، بور أو برانس، أمام عمل من أعماله الفنية.

خطة العمل الخاصة بالمجال الثقافي

اقتناعاً منها بما أسهمت به الثقافة في عملية التجديد وإعادة البناء، فإن وزارة الثقافة والاتصال أرادت دمج المحاور الأربعة لخطة العمل الوطنية الخاصة بإنعاش هايتي وتنميتها، ألا وهي: التعزيز المؤسسي؛ والتنمية الاقتصادية؛ والهوية والمواطنة والتلاحم الاجتماعي؛ والتكامل الإقليمي والتعاون الدولي.

وتفرض عملية التعزيز المؤسسي بصفة خاصة وضع اتفاقيات شراكة مع مختلف الوزارات، وذلك بغرض تشجيع إنشاء بنىً أساسية للممتلكات والخدمات الثقافية، فضلاً عن تنظيم المناطق، مع مراعاة الطابع التراثي الخاص بشتى المواقع الثقافية.

واستناداً إلى أن الصناعات الثقافية والإبداعية يمكن أن تشكل نصيباً لا بأس به من الناتج المحلي الإجمالي، فإن المشروع الذي تعده وزارتنا يشمل إنشاء صندوق للأنشطة الإبداعية يستهدف الصُّناع والفنانين والمؤسسات الثقافية، إضافة إلى إعداد إطار لتشجيع التدريب المهني وتعزيز روح المبادرة الثقافية، وذلك بهدف إدماج العوامل الثقافية في التنمية الاقتصادية.

أما مظاهر الهوية والوعي بالمواطنة والتلاحم الاجتماعي فهي تتكون من خلال تعزيز العلوم ونقل المعارف. ومن ثم فالمقصود هو خلق ظروف تتيح للشعب الهايتي أن يتصالح مع ذاته وأن يواصل تجديد وإثراء تقاليده. تستمد دينامية الثقافة الهايتية قوتها من عوامل إبداعية (الفنون التشكيلية، المسرح، الرقص، الموسيقى، الخ). وتبعاً لذلك، فإن من الواجب اتخاذ تدابير للتوعية وتعزيز الوسائل التي ننقل من خلالها أفكارنا وإبداعاتنا، مع استهداف الشباب على وجه الخصوص، وبالتعاون مع وزارة التربية.

وتفسح الموهبة الإبداعية في هايتي مجالاً لتنوع ثقافي بعيد المدى على الصعيد الوطني، مُعتَرف به في العالم أجمع، ولاسيما في منطقة الكاريبي. وثمة أشكال عديدة من التعبير الثقافي في هايتي تؤثر تأثيراً كبيراً على بلدان أخرى في المنطقة، مما يتيح فيضاً مستمراً من التبادل. والمراد، في الوقت الحالي، هو تعزيز هذا التشارك من خلال إتباع سياسة حازمة ترمي إلى التكامل الإقليمي والتعاون الدولي عن طريق الثقافة. فمن شأن حضور ثقافي مُعزز على الساحة الإقليمية والدولية أن يسهم في تحسين صورة بلدنا في الخارج، وهو ما يطمئن أيضاً مواطنينا في الشتات، وشركاءنا الدوليين والمستثمرين المحتملين.

خلق ظروف تتيح للشعب الهايتي أن يتصالح مع ذاته وأن يواصل تجديد وإثراء تقاليده.

مرصد للثقافة في هايتي

من أجل ضمان أكبر قدر من الاتساق في التدخلات العامة في المجال الثقافي، تريد وزارة الثقافة جمْع فنانين ومهنيي الثقافة الوطنيين والدوليين، إضافة إلى المسؤولين السياسيين العاملين فيها وأصدقائها في الخارج، في إطار منتدى وطني بشأن الثقافة الهايتية. وسيمثل هذا المنتدى مجالاً نحدد فيه معاً الأنشطة الكبرى والأولويات المطروحة. وسيتم إجراء عمليات المتابعة والتقييم الخاصة بالبرنامج الذي يتمخض عن هذا المنتدى استناداً إلى مؤشرات، وبيانات وإحصائيات توضع بالتعاون مع اليونسكو.

هذا، ونظراً لتفويض اليونسكو، فإن المنظمة سيكون في مقدورها الاضطلاع بدور طليعي في دعم هايتي في مسيرتها الطويلة نحو التجديد وإعادة البناء، وخاصة في المجال الثقافي والفني. وإني اقترح ترسيخ هذا الدور بصفة دائمة في مشروع جديد لإنشاء مرصد الثقافة الهايتية الذي نهتم به غاية الاهتمام. ■

© اليونسكو/ ميشال رافسنار

ناشطة في مجال قضايا المرأة، **ماري ـ لورنس جوسلين لاسيغ** هي وزيرة الثقافة والاتصال في هايتي منذ تشرين الثاني/ نوفمبر ٢٠٠٩. وقد سبق لها شغْل هذا المنصب بين ١٩٩١ و١٩٩٣، بعد أن عملت كصحفية ومعلمة. كما أنها تولت منصب وزيرة شؤون المرأة وحقوق المرأة من عام ٢٠٠٦ حتى تشرين الثاني/ نوفمبر ٢٠٠٩.

الرغبة في البدء من نقطة الصفر

أفضت المعتقدات الإحيائية والفودوية والتيارات الأصولية المسيحية إلى حرمان الهايتيين من تسيير شؤون حياتهم بأنفسهم. وبالنظر إلى انتشار المعتقدات الخرافية، اعتبر هذا البلد نفسه الضحية؛ فلن ينهض إلا عن طريق تحليل عقلاني لماضيه ووضعه الحالي.

بقلم
ميشيل أوريول

زُرعت أشجار أمام مأوى مؤقت لزوجين يستأنفان حياتهما ابتداءً من لا شيء.

© صور الأمم المتحدة/ سوفيا باريس

عندما توقفت الهزة الأرضية الثانية في بورت-أو- برانس بتاريخ ١٢ كانون الثاني/يناير، انتظرت الهزة الثالثة في خوف شديد. وسمعت حينها صرخات آتية من هضبتي ديبريه وباكو، ومن جميع شوارع أحياء ضاحية «با بوثردو شوز»: «يا يسوع! يا يسوع! يا مريم! يا أرماجدون!»

وخلال الليالي الثلاث التالية، قام الهايتيون الذين احتشدوا في الشوارع هرباً من المنازل المهدمة حيث طُمرت جثث أقاربهم برفع الصلوات إلى الرب يسوع، ورددوا الأناشيد الدينية وقرأوا الإنجيل. رؤيا يوحنا الرسول ٦: «ونظرت لما فتح الختم السادس. وإذا زلزلة عظيمة حدثت [...]. وكل جبل وجزيرة تزحزحا من موضعهما». رؤيا يوحنا الرسول ١٦:

«فإنهم أرواح شياطين تخرج على ملوك العالم لتجمعهم في الموضع الذي يدعى بالعبرانية أرماجدون [...]. فحدثت أصوات ورعود وبروق. وحدثت زلزلة عظيمة لم يحدث مثلها منذ صار الناس على الأرض، زلزلة بمقدارها عظيمة هكذا. وصارت المدينة العظيمة ثلاثة أقسام ومدن الأمم سقطت. ... وكل جزيرة هربت وجبال لم توجد».

وفُسر كل شيء على أنه إشارة: فإذا تهدمت الكنائس، وإذا تحول القصر الوطني إلى كتلة من اللهيب، فذلك لأن القادة السياسيين وقعوا في الخطيئة. رؤيا يوحنا الرسول ١٨: «سيبكي وينوح على بابل ملوك الأرض الذين زنوا وتنعموا معها حينما ينظرون دخان حريقها. واقفين من بعيد لأجل خوف عذابها قائلين ويل ويل. المدينة العظيمة بابل المدينة القوية. لأنه في ساعة واحدة جاءت دينونتك».

ورأيت الناس ينتشلون بأيديهم إخوانهم وأخواتهم وآباءهم وأمهاتهم وجيرانهم من تحت الأنقاض. ورأيت الناس يجمعون القتلى بالجرافات الآلية، ويرمونهم في سلال المهملات ويدفنونهم في مقابر جماعية حُفرت في مكبات النفايات المحلية. ورأيت قوافل لا متناهية من الناس يتسلقون أعالي بيتيون-فيل وكينسكوف، تاركين المدينة عرضةً لأعمال النهب والسرقة. وهذا الحدث بلا اسم، أو «الغودوغودو»، دفع باتجاه القرية أو الجمهورية الدومينيكية أو الولايات المتحدة الأمريكية أو كندا، عشرات الآلاف من الهايتيين المذعورين. رؤيا يوحنا الرسول ٦: «وملوك الأرض والعظماء والأغنياء والأمراء والأقوياء وكل عبد وكل حرّ أخفوا أنفسهم في المغاير».

ومنذ ذلك الحين، ترددت بين الناس، وعلى الإذاعات، وعلى محطات التلفزة، وفي تجمعات المؤمنين، أصوات مستنيرة تنذر بنهاية ربع قرن في عام ٢٠١١، مع دمار هايتي بأقطارها كافة. رؤيا يوحنا الرسول ١١: «الويل الثاني مضى وهوذا الويل الثالث يأتي سريعاً».

موقع الضحية إلى الأبد لا يمكن اعتباره سيد مصيره.

© شارلز كاريه

هنا: نساء يقمن بالصلاة أمام تمثال للسيد المسيح أُعيد دهْنه بمناسبة زيارة البابا يوحنا بولس الثاني. كاتدرائية بور أو برانس، ١٩٨٢. (رقم ٢٢).

على اليمين: كنيسة كارمو في لشبونة، التي ضربتها هزة أرضية في عام ١٧٥٥ وما زالت مهدمة، تُشبه، على نحو يثير الدهشة، ما آلت إليه كاتدرائية بور أو برانس الآن.

تعالوا وتأملوا كل هذه الخرائب الرهيبة
وكل هذا الحطام والدمار والرماد
وانظروا إلى النساء والأطفال الذين حصدهم الموت بالجملة
وإلى الأعضاء المتناثرة تحت الأعمدة الرخامية المحطمة
لقد التهمت الأرض مئة ألف بائس
لقد سالت دماؤهم وتمزقت أوصالهم...
وها هم يلفظون آخر أنفاسهم تحت السقوف التي انهارت عليهم
وها هم ينهون أيامهم الحزينة في عذاب مرير، من دون أي مساعدة!
هل تواجهون صيحاتهم الضعيفة التي تؤذن بالفناء
والدخان المتصاعد من هذا المنظر البشع
بقولكم: «هذا جرى وفقاً لقوانين أبدية وطبقاً لمشيئة الله المطلقة الخيرة؟»
وهل تقولون أمام هذه الأكداس من الضحايا
«لقد انتقم الله منهم، إن موتهم جزاء جرائمهم؟»
ولكن أي جريمة وأي خطأ ارتكب هؤلاء الأطفال
الذين اغتالهم الزلزال وسالت دماؤهم وهم في أحضان أمهاتهم؟
وهل كانت رذائل لندن أو باريس الغارقتين في اللذات أقل من رذائل لشبونة المهدمة؟

فولتير: قصيدة «كارثة لشبونة»

نحن في مملكة المخاوف العميقة التي تزعزع أحياناً أسس مجتمع برمته وتتطلب بعض الشرح والتفسير.

وعلى مدار ثمانية أيام، لم أرَ رجلاً عسكرياً واحداً في الشوارع. ولم أرَ أي شرطي هايتي، أو جندي تابع لبعثة الأمم المتحدة لتحقيق الاستقرار في هايتي. ولم يوجه رئيس الدولة كلمةً إلى الأمة إلا بعد مرور أربعة أسابيع على الزلزال. وبدت الدولة وكأنها انهارت مع مبانيها الرمزية. ولا نزال حتى اليوم نتوقع صدور القرارات والتوجيهات التي طال انتظارها.

في مكان آخر، وزمن آخر: عودة إلى التاريخ

في الأول من تشرين الثاني/نوفمبر ١٧٥٥، عند الساعة ٩,٤٠، أي في صباح عيد جميع القديسين الذي تحتفل به الكنيسة الكاثوليكية، ضرب زلزال مدينة لشبونة، ودمرها خلال بضع عشرات من الدقائق. وتلت الهزة الأرضية موجة تسونامي هائلة اجتاحت وسط المدينة البرتغالية. وما لم تدمره أمواج البحار، دمرته ألسنة النيران المشتعلة. وأدت هذه الكارثة إلى مقتل ربع سكان المدينة وتدمير الأغلبية الكبرى من المباني. وتناثر تحت أنقاض القصر الملكي ما يساوي ٧٠٠٠٠ كتاب من مكتبة الملك ومحفوظات القصر الثمينة.

© ياسمينة شويغا

وبحسب ما تردد عن هذه الحادثة، قال سيباستياو دي ميلو، ماركيز بومبال ورئيس الوزراء البرتغالي آنذاك، وهو شخصية عُرفت بواقعيتها الكبيرة: «ماذا الآن؟ ادفنوا الموتى وأطعموا الأحياء». وأرسل دي ميلو على الفور فرقاً لإطفاء الحرائق وجمع الجثث، وأمر بشنق السارقين في ساحات المدينة ليكونوا عبرة للآخرين، ومنع فرار السكان القادرين على العمل... وبعد ما لا يزيد عن سنة واحدة، كانت المدينة قد نُظفت بالكامل، وأصبحت الظروف مؤاتية لاستهلال عملية إعادة البناء.

هزت هذه الكارثة القارة الأوروبية برمتها وتركت آثاراً على النهج الفلسفي الذي طبع قرن الأنوار. فالإنسان شعر بأنه وحيد في العالم، ولم يعد بالإمكان التحدث عن العناية الإلهية من دون استذكار كارثة لشبونة.

ماذا غيّر زلزال عام ٢٠١٠ في الفكر الهايتي؟

لا يُعتبر الزلزال ظاهرة طبيعية من منظور شعب يؤمن بالمعتقدات افحيائية، بل يُنظر إليه على أنه حدث ناجم عن سوء نوايا البعض. ويجدر بالذكر أن آيات الإنجيل التي تستند إليها الكنائس البروتستانتية الأصولية والتي اعتمدها أتباع معتقد الفودو والطائفة الكاثوليكية، تزيد من حدة الصدمة النفسية التي يعاني منها السكان. وتترك هذه الظاهرة آثاراً كبيرةً في النفوس. ويتعين بالتالي على المفكرين المعنيين بتحديد ماهية الأمة الهايتية قياس الحجم الحقيقي لهذه الآثار.

وبعدما كانت هايتي تُعتبر أكثر البلدان فقراً في نصف الكرة الشمالي، باتت تُعد اليوم أقل هذه البلدان حظاً بفعل اللعنة التي حلت بها. ووقعنا منذ زمن طويل ضحية

© صور الأمم المتحدة/ ماركو دورمينق

ونقْدِم بالتالي على دفن أجدادنا ونثرهم بالورود لنغطي باحتراس كل ما يحدث أمام أعيننا اليوم

أذية متواصلة نتعرض لها على أيدي المسؤولين في البلاد، وعلى أيدي العديد من المفكرين الهايتيين والأجانب أيضاً. وتشكل هذه الأذية أكبر فخ يعترض طريقنا اليوم. ونظراً إلى السياق المؤسسي الهش، والهش جداً، الذي تتسم به هايتي، يمكن للتعاطف والسخاء اللذين يبديهما العالم إزاءنا أن يزعزعا ثقتنا بقدرتنا على تولي شؤوننا بنفسنا. ويجب علينا وضع حد لهذه الأذية لنستعيد احترام الذات. فالإنسان الذي يبقى في موقع الضحية إلى الأبد لا يمكن اعتباره سيد مصيره.

وازدادت الأصوات المطالبة بتكريس الهوية الهايتية بصورة متواصلة خلال العقود الأخيرة، وذلك بالتزامن مع تلاشي المؤسسات الهايتية، وتدهور الاقتصاد، وتفاقم مخاطر الحرب الأهلية، وفقدان الدولة لسيادتها. ونجم هذا الواقع عن تدخل الجيوش الأجنبية بقدر ما نجم عن عدم تنسيق المعونة الدولية. وأغلقنا نفسنا بالكامل في ذكريات الماضي لما كان يشهده الحاضر من فوضى وللانغلاق التام الذي كنا نراه في المستقبل.

لكن بماذا يأتينا هذا الماضي؟ إنه يأتينا بصور توسان لوفرتور وجان–جاك ديسالين... رجلان لم يتقنا القراءة والكتابة ووقعا ضحية تجارة الرقّ، لكنهما نجحا في إعطاء هايتي استقلالها وفي تأسيس جمهورية وبناء أمة، وبقيا بالتالي مصدر فخر واعتزاز للشعب الهايتي. لكن الماضي يعيد إلى مسامعنا بوجه خاص ذلك اللحن المشؤوم الذي يذكرنا باستمرار بأن جميع رؤساء الدولة الهايتية اقتصروا منذ ٢٠٠ عام على مجموعة من المجرمين والفاسدين والمستبدين المسرفين، وبأن الفوضى الإدارية تعم المؤسسات الهايتية منذ ٢٠٠ عام، وبأن الحروب الأهلية وحالات التفاوت الاجتماعي تمزق البلاد منذ ٢٠٠ عام أيضاً.

نزعة الانطلاق من الصفر

قد يؤدي نكران الماضي إلى مساوئ في المستقبل. ولا ينبع هذا السلوك من حسن نية، فهو يتيح تبرئة الحكام الحاليين والمجتمع الدولي الذي يساندهم. ونقْدِم بالتالي على دفن أجدادنا ونثرهم بالورود لنغطي باحتراس كل ما يحدث أمام أعيننا اليوم، أي تسارع نمو السكان الذي لا تعالجه السياسات الاقتصادية والذي يتجاهله السياسيون؛ وعملية التحضر المجردة من أي بعد إنساني، التي ولدت جراء تدمير الاقتصاد الريفي؛ والتقليل من وقع وجود الجيوش الأجنبية على أراضينا؛ والتدهور البيئي الذي تقف شركات تصدير الخشب في مقدمة المسؤولين عنه.

وكانت العاصمة قد تحولت إلى وحش يعد أكثر من مليوني نسمة، نتيجةً لتضاعف عدد السكان كل عشرة أعوام خلال الفترة الممتدة من عام ١٩٧٠ إلى عام ١٩٩٠. لكن هذا العدد ارتفع بأكثر من ثلاثة أضعاف بين عامي ١٩٩٠ و٢٠٠٠. وتم بالتالي تشييد أكثر من ٦٢٪ من أبنية العاصمة بين سنتي ١٩٩٥ و٢٠٠٠.

وهذا يعني أن أجدادنا ليسوا هم من بنى في بورت–أو–برانس تلك المنازل التي أدت إلى مقتل أكثر من ٢٠٠٠٠٠ شخص. فمسؤولية هذه المباني تقع على عاتق السلطات السياسية الحالية في هايتي وبعثات الدعم الأجنبية التي لا تُعد ولا تُحصى، والتي تتقاسم السلطة مع قادتنا منذ ١٦ عاماً.

لكن بدلاً من التشهير في الماضي، يتعين علينا تحليل التاريخ الحديث للبلاد وحاضرها. فمنذ الإنزال الأميركي الذي تم برعاية الأمم المتحدة عام ١٩٩٤، تتسم السلطة السياسية بطابع أقل ما يقال فيه إنه غامض: فهايتي لا تُعتبر تحت الوصاية بالكامل، ولا تُعتبر مستقلة بالكامل. وتتعاقب الحكومات الضعيفة والهشة وتجرّ معها الدولة في تدهور لا متناه. فلنناقش إذاً بوضوح مسألة السلطة السياسية التي تقع في صلب عملية إعادة البناء.

ولا شك في أن السعي إلى إعادة بناء الدولة الهايتية هو رديف لنزعة الانطلاق من الصفر. لكن الدولة الهايتية موجودة منذ ٢٠٦ أعوام. والحل لا يكمن بالتالي في إعادة بنائها، بل يتمثل على العكس في إقامة الروابط بين الماضي والحاضر، والارتباط بالتاريخ مجدداً والتفكير في التعاليم الذي تركها لنا. فهذا هو السبيل الكفيل بإعادة إعطاء معنى لحياة الشعب الهايتي. وهذا هو السبيل الكفيل بإعادة إحياء مفهومي الكرامة واحترام الذات. ■

© اليونسكو / ميشال رافسار

ميشيل أوريول عالمة اجتماع وخبيرة في علم الإنسان، شاركت في إنشاء مؤسسة البحوث الأيقونية والتوثيقية في بورت–أو–برانس. وتشارك أوريول في عضوية اللجنة الوطنية الهايتية لبرنامج ذاكرة العالم الذي كرسته اليونسكو لصون ونشر المجموعات الموجودة في المحفوظات والمكتبات حول العالم. وبصفتها مستشارة مستقلة لدى العديد من المؤسسات الوطنية والدولية، شاركت أوريول في الكثير من المشروعات المتعلقة بالتنمية الريفية وحماية البيئة، وقادت فريق بحث دولياً معنياً بوضع العقارات الهايتية. وتعلّم أوريول حالياً علم الاجتماع الأسري في كلية العلوم الإنسانية بجامعة هايتي الحكومية.

بعد الزلزال بناء بلد آخر بالفعل

يجب علينا الإقرار، في البداية، بأن إعادة بناء النسيج الاجتماعي والثقافي والفكري في هايتي تمثل تحدياً صعباً وعسيراً. وعلى عكس ما قيل بشأن تمزق النسيج الاجتماعي والثقافي والفكري في هايتي جراء زلزال الثاني عشر من كانون الثاني/يناير ٢٠١٠، فإن هذا النسيج كان ممزقاً قبل هذا التاريخ المشؤوم بكثير.

بقلم
نانسي روك

وعلى الصعيد الاجتماعي، أدت التعبئة الغوغائية التي تحكمت بالبلاد لمدة ٢٠ عاماً إلى تجزئة المجتمع الهايتي إلى أقطاب، ووسعت الهوة بين مختلف الطبقات الاجتماعية، وسرّعت وتيرة هجرة الأدمغة التي كانت قد بدأت في ظل نظام فرانسوا دوفالييه. ويفيد البنك الدولي بأن «ما يزيد عن ٨٣٪ من أكثر القوى العاملة كفاءةً في هايتي تعمد في نهاية المطاف إلى مغادرة البلاد للاستقرار في مكان آخر»، وأن الولايات المتحدة الأمريكية تشكل، إلى جانب كندا، الوجهة المفضلة للأغلبية الكبرى من المهنيين الهايتيين.

وفي أعقاب الزلزال الذي ضرب البلاد في ١٢ كانون الثاني/يناير، ازداد نزيف الأدمغة إلى الخارج، وثمة خطر أن يتفاقم ما لم تُتخذ تدابير ملموسة وعاجلة في أسرع وقت ممكن. وكان الوضع الاجتماعي–الاقتصادي في هايتي سيئاً للغاية قبل الزلزال بفترة طويلة، بحيث كان معدل البطالة يساوي ٩٠٪. ويُستحسن عدم التذكير بالأرقام لتفادي إضافة مأساة جديدة إلى مآسينا الحالية.

وفي الحقيقة، تقبع هايتي في مؤخرة الركب على

أي إشارة، حتى وإن كانت يائسة، فإن لها دلالة.
بور أو برانس، ١٢ كانون الثاني/ يناير ٢٠١٠.

© صور الأمم المتحدة/ ماركو دورمينو

ايتيون يتطلعون إلى عُرض البحر.

© صور الأمم المتحدة/ ماركو دورمينو

المستويات كافة. فهذه الجزيرة التي تُعد أقدم جمهورية سوداء في العالم تحولت إلى دولة منبوذة في القارة الأمريكية. وعجز هذا البلد عن الارتقاء إلى مستوى الدول وبات يعتمد اليوم على جهود الإنعاش الدولية أكثر من أي وقت مضى. ونتحدث عن جهود الإنعاش، لا عن المساعدات المخصصة للتنمية المستدامة، لأن هذه النوع من المساعدات أوقع هايتي في بؤسٍ لا حدود له خلال السنوات العشرين الأخيرة، بدلاً من مساعدتها على النهوض مجدداً. ومع أن الهايتيين هم في مقدمة المسؤولين عن الانحطاط الاجتماعي الذي يعانون منه، فإن المسؤولية تقع أيضاً على عاتق الجهات المانحة. لذا، سيتعين على الحكومات المقبلة أن تقوم بخيارات مستنيرة في هذا المجال وأن تتكل على المغتربين الهايتيين الذين يوفرون، كل سنة، أموالاً تفوق بثلاثة أمثال الأموال التي يوفرها المجتمع الدولي، أي مليار و٨٠٠ مليون دولار، مقابل ٥٠٠ مليون دولار.

وعلى الصعيد الثقافي، لطالما زعمت الحكومات التي تعاقبت منذ عام ١٩٨٦ أن الثقافة الهايتية هي أثمن كنوزنا على الإطلاق. وعلى الرغم من ذلك، لم تُتخذ أي تدابير لإبراز قيمة هذه الثقافة. ولو لم يكن لحيوية المبدعين الهايتيين ومواهبهم، لكانت الثقافة الهايتية قد ماتت هي أيضاً. وكيف يمكن أن نفسر افتقار هايتي، في القرن الحادي والعشرين، إلى صالة جيدة للعروض الفنية؟ وأُعلن في آب/أغسطس الماضي عن إقفال صالة السينما الوحيدة التي كانت موجودة في العاصمة، وهي خطوة قد تؤدي في الوقت ذاته إلى موت السينما الهايتية الناشئة. وأضحى المسرح الوطني والكلية الوطنية للفنون مبنيين مهجورين منذ زمن طويل، ويتم استخدامهما لأغراض سياسية في بعض الأحيان، مما يجردهما من أي بعد فني. وإذا اعتبرنا أن الثقافة حية، فإنها تفتقر إلى الأماكن التي يمكنها أن تنتشر من خلالها. والكلمات لا تكفي للتعبير عن الإفقار الثقافي الذي تتعرض له هايتي، فما من مسرح أو صالة سينما أو متحف يليق بعظمة الفن الهايتي، وهيئات التحرير المحلية في حالة عوز، وما من صحيفة أو مجلة أو إذاعة ذات طابع ثقافي، وما من سياسية ثقافية للبلاد أو كلية حقيقية للفنون... فماذا حلّ بالبلد الذي استهوى، ذات يوم، الأديب الفرنسي أندريه مالرو؟

باب الأمل ما زال مفتوحاً

آن الأوان لإعادة خلط الأوراق، وما زال باب الأمل مفتوحاً بدليل أن الحكومة الهايتية أقرت للمرة الأولى في خطة العمل للإنعاش والتنمية الوطنية التي تم تقديمها في الأمم المتحدة بتاريخ ٣١ آذار/مارس بأن «تهميش عنصر الثقافة لسنوات طويلة أدى إلى إفشال برامج دعم التنمية في مجمل البلدان تقريباً». وبالطبع يفترض هذا الأمر إرسال الدولة إشارات واضحة تظهر عزمها على المساهمة في جعل القطاع الثقافي مجالاً اقتصادياً يتسم بمقومات البقاء ويُحتذى به بجوانبه كافة.

ومع أنه يسهل على الهايتيين لوم الدولة على عدم فعاليتها، فإنه لا يُعقل ألا تبدي أي هيئة أو مجموعة خاصة أو أي رجل أعمال في هايتي استعداداً لاستثمار المزيد من الأموال في مجال الثقافة. وحاولت في آب/أغسطس الماضي استرعاء انتباه الجمهور الهايتي

للإمكانيات الاقتصادية التي يتمتع بها القطاع الثقافي من خلال مقال صدر في صحيفة «لو ماتان» بعنوان «الأسباب المؤيدة لإنشاء صالة حقيقية للعروض الفنية في هايتي». وأعادت صحيفة «كورييه أنترناسيونال» إصدار هذا المقال بعنوان «انتهى العرض»[1]. وجاء في المقال أن الضرائب والرسوم التي حققتها الحكومة الكندية على المستوى الاتحادي والإقليمي والبلدي بفضل الأنشطة الثقافية بلغت ٢٥ مليار دولار كندي في عام ٢٠٠٧ وحده. ويفوق هذا المبلغ بحوالى ثلاثة أمثال الأموال التي استثمرتها الحكومة في مجالي الثقافة والفنون عام ٢٠٠٨ على المستويات الثلاثة المذكورة والتي بلغت ٧,٩ مليار دولار كندي[2]. لكن فهم هذه الإمكانات الاقتصادية والعمل على تحقيقها يستوجبان الابتعاد عن واقع الرداءة. فمتى سنرى في هايتي نصراء الآداب والخيّرين الحقيقيين الذين يتمتعون بحس الالتزام الاجتماعي والكرامة؟ ومتى سيصبح منظمو المشاريع أقل جهلاً مما هم عليه اليوم؟ وكيف يُعقل أن أكبر المناسبات الرياضية أو الثقافية في هايتي تُنظم، منذ سنوات عديدة، برعاية شركات أجنبية للهواتف المحمولة؟ وأين رؤية رجال الأعمال الهايتيين من كل ذلك؟ ولا تزال هذه الأسئلة برسم الإجابة.

على الصعيد الثقافي، لطالما زعمت الحكومات التي تعاقبت منذ عام ١٩٨٦ أن الثقافة الهايتية هي أثمن كنوزنا على الإطلاق. وعلى الرغم من ذلك، لم تُتخذ أي تدابير لإبراز قيمة هذه الثقافة. ولو لم يكن لحيوية المبدعين الهايتيين ومواهبهم، لكانت الثقافة الهايتية قد ماتت هي أيضاً

وعلى الصعيد الثقافي أيضاً، ثمة أسئلة مزعجة تطرحها هايتي. فكيف أن هذه الدولة التي تنقصها فكرة الأمة أصبحت بلدا بلا دولة؟ ويبدو لنا أن مقولة «كلٌّ امرئ لنفسه»، فضلاً عن الحذر الكبير حيال الجار، يجدان جذورهما في تاريخ هذا البلد الذي لم تجسد فيه الدولة يوماً شيئا صالحا. ولا يوجد في هايتي نخب عملت لتنمية البلاد وتحقيق المصلحة المشتركة، ذلك لأن النخب الهايتية تنظر باحتقار إلى «الرعاع الأميين» ولأنها صاحبة شغف مطلق بالسلطة. فضلاً عن ذلك، فإن آثار الرق التي لا تزال تخيم على المجتمع الهايتي لم تعزز الشعور بالمسؤولية في جميع الطبقات الاجتماعية على اختلافها. وأضحت عبارة «سي با فوت موان» (الذنب ليس ذنبي) بمثابة لازمة وطنية.

وإذا لم تقع المسؤولية على عاتق المواطن الهايتي، فإنها تقع حتماً على عاتق الآخر. ولا يفصل بالتالي بين مطالبة الهيئات الأجنبية بالتدخل في هايتي والإدانة المباشرة «للتدخل» الأجنبي في الشؤون الهايتية سوى خطوة واحدة. ويتجلى «إفلاس» النخب الهايتية في مقولة عالِم الاجتماع الهايتي لاينيك هوربون الذي اعتبر أنه منذ ٢٠٠ عام، «لا يزال معنى الانتماء إلى هذا البلد مبهماً وذهنية المواطن الهايتي لم تشهد تطوراً كبيراً». وتسببت مسألة لون البشرة، التي غالباً ما تستغلها الأحزاب السياسية الحاكمة، بتفاقم ظاهرة الاستقطاب الاجتماعي في مجتمع عانى من الفصل العنصري، كما أنها لم تساعد الهايتيين على التوصل إلى توافق آراء بشأن مفهوم «العيش المشترك». علاوةً على ذلك، أدت التعبئة الغوغائية التي زادت من احتقار الهايتيين للمفكرين، إلى تجريد هؤلاء من مسؤولياتهم الاجتماعية. إلا أن النجاحات العالمية التي حققها داني لافيريير، وفرانكيتيان، وليونيل ترويو، وغاري فيكتور، ويانيك لاهانس، ولوي فيليب دالمبير، على سبيل المثال لا الحصر، تأتي بمثابة دليل على أن الروائيين الهايتيين قادرون على إثبات أنفسهم عالمياً. وقد عمد بعضهم إلى المشاركة في «حركة العقد الاجتماعي الجديد» التي استهلها عام ٢٠٠٤ الفريق السياسي الهايتي المعروف باسم «مجموعة الـ١٨٤». ودعت هذه المجموعة الشعب الهايتي «إلى مواجهة تحدي العوائق التاريخية التي منعت الهايتيين من الاتحاد وشلّت عملية التنمية، والتي لا تزال حتى اليوم تتسبب بانحطاط سياسي واجتماعي واقتصادي في بلدنا». إلا أن الروائيين الهايتيين المعنيين انسحبوا من هذه الحركة بعدما هجرها «قادتها السياسيون».

أي توجهات لإعادة بناء المجتمع؟

تقول عالمة الاجتماع الكامرونية أكسيل كابو إن «جميع التحاليل تدل على أن كل الشعوب، من دون استثناء، مسؤولة عن تاريخها برمته». ومن الضروري بالتالي أن يعمد المفكرون الهايتيون إلى طرح إشكالية الهوية الهايتية من خلال الأسئلة التالية: ما واقع هذه الهوية اليوم؟ وهل من هايتي موحدة أو هوية هايتية مجزأة ومبعثرة في شتى أنحاء العالم؟ وهل يمكن بالفعل أن نتحدث عن هيكلية هايتية مشتركة تصلح لجميع الهايتيين المقيمين في هايتي والجمهورية الدومينيكية وميامي وبوسطن ونيويورك وباريس ومونتريال؟ وكيف يمكن رسم مسارات التأمل في هذا المجال وإيجاد أساليب مختلفة لمقاربة هذا الموضوع؟

وفي ضوء هذه النقاط التي لا تشكل سوى الخطوط العريضة للمشاكل الملازمة لتمزق النسيج الاجتماعي والثقافي والفكري في هايتي، كيف يمكن تعبئة المعارف والكفاءات الاجتماعية اللازمة لإعادة إحياء هايتي اليوم؟

ولا يمكنني بالتأكيد أن أزعم امتلاك الجواب الحاسم على سؤال يتسم بهذا القدر من التعقيد، نظراً إلى السياق الذي عرضته للتو. لكنني أستطيع أن أعرض عدداً من الاقتراحات التي تم البدء بتنفيذ بعض منها.

كتب زميلي آموس سينسير في صحيفة «لو نوفيليست» ما يلي: «تشهد البلاد هجرة واسعة النطاق تطال جميع السكان، والنخب بصفة خاصة. فمنذ عام ٢٠٠٠، يغادر الجزيرة كل سنة ما لا يقل عن ١٠ آلاف مواطن هايتي من بين المواطنين الحائزين على أكبر عدد من الشهادات. وغالباً ما تعرف الهجرة غير القانونية نهاية مأساوية، إذ يموت في أعالي البحار كل سنة ألف شخص من المرشحين للسفر خلسةً. أما أولئك الذين يتمكنون من مغادرة البلاد، فيصبحون سنداً للعائلات التي بقيت في الجزيرة. وتعتمد نسبة تناهز ٤٠٪ من الأسر الهايتية على الأموال التي يرسلها المغتربون الهايتيون. وبلغت التحويلات العائلية ١,٨ مليار دولار [أي ما يساوي ١,٣ مليار يورو] عام ٢٠٠٨، وهو مبلغ يفوق ثلث الناتج المحلي الإجمالي. لكن لسوء الحظ، بدأت هذه الإيرادات بالتراجع بسبب الأزمة الاقتصادية العالمية، وانخفضت التحويلات بما

لا يقل عن ٣٠٪ بين عامي ٢٠٠٨ و٢٠٠٩. ويتأتى من هذا النزيف الذي يفقد البلاد ما تتمتع به من أدمغة وقوى عاملة عوائق توازي بخطورتها تعرض الجزيرة لزلزال ثانٍ، ذلك لأن الهايتيين الذين غادروا البلاد كانوا يمثلون أفضل أمل لإعادة بناء هايتي».

وتمثل هذه الهجرة لسوء الحظ مشكلة جديدة تُضاف إلى مشكلة المهنيين الذين سبق لهم أن تركوا الجزيرة والذين تبلغ نسبتهم ٨٣٪. ويتضح بالتالي أنه سيتعذر إنعاش هايتي وإعادة بنائها في غياب مشاركة فعالة ومتواصلة من المغتربين الهايتيين. وقام رئيس الوزراء الهايتي جان ماكس بليريف ووزير الهايتيين المقيمين خارج الحدود إيدوين باريزون بالموافقة على هذا المبدأ بوضوح خلال مؤتمر مونتريال الذي عُقد بتاريخ ٢٥ كانون الثاني/يناير الماضي، وكذلك خلال الندوة بعنوان «إعادة بناء هايتي – أفق ٢٠٣٠» التي نظمها فريق التفكير والعمل لهايتي جديدة في المدرسة العليا للهندسة بمونتريال يومي ٤ و٥ آذار/مارس. لكننا نعلم أيضاً أن الهايتيين المقيمين في الجزيرة لطالما أبدوا حذراً إزاء المغتربين الهايتيين. ويُذكر أيضاً أن دستور جمهورية هايتي لا يسمح بحمل جنسيتين مختلفتين، الأمر الذي دفع بأغلبية الأدمغة الهايتية الرائدة إلى اختيار جنسية البلد المضيف، وذلك رغماً عنها في الكثير من الأحيان. غير أن هايتي كانت لتزول منذ زمن طويل لولا مواطنيها المغتربين.

يجب أن تقوم عملية إنعاش هايتي اليوم على أسس العلم والذكاء والكفاءة والبعد الإنساني، وعلى التواضع أيضاً، بغية بناء مجتمع أكثر عدلاً وإنصافاً.

أي توجهات لإعادة بناء هايتي؟

يجب أن تقوم عملية إنعاش هايتي اليوم على أسس العلم والذكاء والكفاءة والبعد الإنساني، وعلى التواضع أيضاً، بغية بناء مجتمع أكثر عدلاً وإنصافاً. وبعبارة أخرى، سيتعين على الهايتيات والهايتيين أن يصمموا ويبنوا بلداً جديداً بكل ما للكلمة من معنى، على أن يتمثل هدفهم الرئيسي في تحقيق المصلحة المشتركة. ولا بد من إشراك المغتربين الهايتيين ومجمل الشبكات الاجتماعية الهايتية لبلوغ هذا الهدف.

ويُذكر أن الندوة بعنوان «إعادة بناء هايتي – أفق ٢٠٣٠»، التي شارك فيها أكثر من ٦٠٠ مواطن هايتي من الجزيرة وبلدان الهجرة، أظهرت بوضوح أن الهايتيات والهايتيين قادرون على تقديم اقتراحات ملموسة إلى الهيئات المعنية بإعادة بناء بلدهم، وذلك استناداً إلى أفكار وُضعت بموجب نهج تشاركي وبالاستعانة بالخبرات والآراء المتوافرة داخل الجزيرة وخارجها.

وصدر عن هذه الندوة التي وُصفت «بالتاريخية» ٤٥ اقتراحاً أولياً[٣].

وفيما يخص مجال التعليم، تم البدء بتنفيذ عدد من المشاريع، ومنها إنشاء بنية دائمة لاستقبال مهنيي التعليم من بلدان الشتات والبلدان الصديقة لهايتي؛ وإنشاء بنية مخصصة للتدريب عن بعد يمكن تحويلها على الأجل الطويل إلى جامعة مفتوحة أو جامعة للتعليم عن بعد تغطي مجمل الأراضي الهايتية؛ وإعداد برنامج تدريب للطلبة الهايتيين في شركات يشغل فيها مغتربون هايتيون مناصب عالية؛ وإقامة شبكات مكرسة لكفاءات المغتربين الهايتيين، تهدف إلى نقل المعارف وتحقيق التنمية الاقتصادية.

وبالنسبة إلى الثقافة، اقترح فريق التفكير والعمل لهايتي جديدة، بين جملة أمور، إنشاء صندوق لصون التراث وتنمية المشاريع الثقافية في أرجاء الجزيرة كافة. كما اقترح استهلال برامج للمعارض المتنقلة وغيرها من الأدوات المستخدمة لنشر الثقافة والمرتكزة إلى التكنولوجيات الجديدة.

هذا هو عدد من المشاريع التي يمكن لليونسكو أن تدعمها. وأود أيضاً أن أتكلم باسم الفنانين والشباب في هايتي لأطلب من اليونسكو أن تساعد بلدي على إيجاد شركاء لتمويل إنشاء صالة متعددة الاستخدامات للعروض الفنية في هايتي.

وفي الختام، لا بد من التذكير بأن هايتي الغد يجب أن تتخلص حتماً من شياطين الفساد على المستويات كافة. وينبغي لنا ألا ننسى قول الصحفي الفرنسي إيدوي بلينيل الذي صرح أن «كشف النقاب عن الفساد المالي يتيح مكافحته والمعاقبة عليه. أما الفساد الفكري، فهو أكثر قدرةً على حجب حقيقته والتخفي، وهو بالتالي أكثر خطورةً بكثير من الأول»[٤]. ■

هذا المقال مقتطف من مداخلة نانسي روك خلال المنتدى الذي نظمته اليونسكو في ٢٤ آذار/مارس ٢٠١٠ بعنوان «إعادة بناء النسيج الاجتماعي والثقافي والفكري في هايتي». ويمكن الحصول على النص الكامل والتسجيل السمعي البصري للكلمة التي ألقتها في مقر المنظمة على العنوان التالي:
http://www.unesco.org/new/fr/media-services/single-view/news/unesco_forum_on_haiti/back/18256/

© اليونسكو / أندرو ويلر

نانسي روك صحفية مستقلة ومدافعة عن حقوق الإنسان، وتُعتبر من الوجوه البارزة في الصحافة الهايتية. وتعمل روك لدى محطتي «سي بي سي» و«تي في ٥» وإذاعة «راديو كندا»، وهي أول صحفية هايتية تصبح مراسلةً لبرنامج «سي أن أن وورلد ريبورت». وعملت روك موظفة للشؤون الثقافية في الوفد الدائم لهايتي لدى اليونسكو بين عامي ١٩٩١ و١٩٩٤. وإثر عودتها إلى هايتي، عُينت مديرة المكتب الصحفي التابع لرئيس الوزراء سمارك ميشال. لكنها استقالت من منصبها بعد ستة أشهر وعاودت مهنتها كصحفية مستقلة. وتقدّم روك اليوم برنامج «ميتروبوليس» (http://www.metropolis .metropolehaiti.com/).

١. يمكن قراءة المقال على العنوان التالي: http://www.courrierinternational.com/article/2009/09/03/le-spectacle-est-termine

٢. ميشال جيرار، «الثقافة تدرّ الكثير على الحكومات»، صحيفة «لا بريس»، مونتريال، ٢٤ أيلول/سبتمبر ٢٠٠٨.

٣. للحصول على المزيد من المعلومات، يرجى زيارة الموقع الإلكتروني الرسمي لفريق التفكير والعمل لهايتي جديدة: http://www.haiti-grahn.net/public/

٤. إيدوي بلينيل، أسرار من مرحلة الشباب، «ستوك»، ٢٠٠١

الصحافة الهايتية: المنعطف الكبير

لا يمكن لمجتمع ان ينمو من دون إعلام وصحافة واتصال. لأن في هذا الحيز يكمن التطوروتزدهر المعرفة وتبادل الخبرات. بالتعبير نصل إلى الآخر وبه نتعرف عليه ونعرف منه. الصحافة في هايتي ورشة في حاجة إلى إعادة ابتكار.

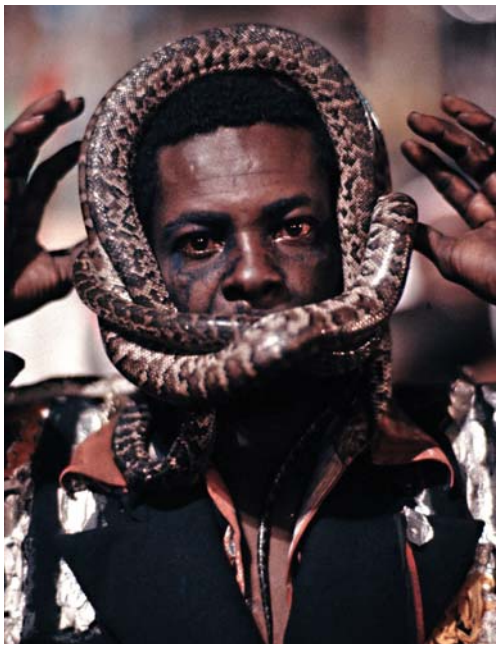

© شارلز كاريه

بقلم
روبيرسون ألفونس

ينبغي للصحافة الهايتية، أن «تختار ممارسة الحرية المسؤولة»

جاء في تحقيق أنجزته وكالة «ميدياسكوم» أن ٩٤٪ من سكان هايتي، البلد الذي تبلغ فيه مستويات الأمية معدلات مرتفعة، يملكون أجهزة راديو. ومع ذلك، فمن الملاحظ أن موجة إذاعة ف.م. FM صارت مُشبَعة، كما أن وكالة «كوناتِل» الحكومية المكلفة بتحليل الملفات التقنية الخاصة بالحصول على قنوات الذبذبات الإذاعية توقفت عن إصدار التراخيص اللازمة لذلك، في حين أن أكثر من ٤٠ محطة إذاعة تبث برامجها من العاصمة. ولقد تجزأ وعاء الإعلانات، وأخذت محطات الإذاعة «الناجحة جماهيرياً»، مثل «متروبول» و«فيزيون ٢٠٠٠» و«الكراييب» و«جنين» و«سينيال» و«كيسكيا» النصيب الأوفى في هذا المجال. وهناك محطات إذاعة كثيرة أخرى، لا تملك موارد مالية كافية، تبث برامج رديئة النوعية التقنية يقوم بإنتاجها، في كثير من الأحيان، عاملون لم يتلقوا أي نوع من أنواع التدريب في هذا المجال. وتخصص محطات الإذاعة، التي لا تعدو أن تكون أجهزة تردد أصداء الأوضاع هناك، وقتاً طويلاً للبث الإذاعي يتناول أحداث الساعة السياسية، والاتهامات المتبادلة، والنزوات والافتراءات والنزاعات بين التكتلات والجماعات. وينسحب ذلك أيضاً على ما يقرب من عشر محطات تلفزيونية ظهرت خلال الأعوام الثلاثة الأخيرة.

أما الفكر النقدي الذي يتميز بالوضوح والموضوعية والدقة فهو وقفٌ على عدد قليل من الصحفيين المحنكين. فالجريدتان اليوميتان «لو نوفيليست» و«لو ماتان» اللتان ظهرتا في نهاية القرن التاسع عشر تمثلان أداتين للإنذار، وذلك رغم العدد المتواضع للنسخ المطبوعة (٢٠٠٠٠ نسخة من كل إصدار) والتوزيع المحدود للغاية في الأقاليم.

وتجدر الإشارة إلى أن الصحافة الهايتية لم يكن في مقدورها أن تأخذ المسافة النقدية الضرورية لمساعدة المجتمع على تحقيق الوحدة بين مختلف فئاته. كما أنها لم تتمكن من حشد القوى الاجتماعية لمواجهة التحديات الكبرى التي ينبغي للبلاد التصدي لها، وهي التحديات المتمثلة في المخاطر الزلزالية، والحاجة الملحة إلى إعادة تنظيم المناطق، والاحتياجات في مجال الطاقة، وتدهور البيئة والتعليم، وإعادة تنظيم قطاع الاقتصاد والإنتاج، وكذلك إعلاء شأن الفنون والثقافة.

صورة رمزية تمثل اختناق الفكر النقدي. مشهد من كارنفال بور أو برانس، شباط/ فبراير ١٩٨٥.

تلك هي الأوضاع التي كانت تشهدها وسائل الإعلام الهايتية قبل أن تقع الهزة الأرضية في ١٢ كانون/ يناير ٢٠١٠ بوقت طويل.

وكما هو الحال فيما يخص قطاعات كثيرة أخري في هايتي، فقد لحقت بوسائل الإعلام أضرار جسيمة بفعل الهزة الأرضية. وبعد مضي شهرين على هذا الحدث، استأنفت غالبية وسائل الإعلام نشاطها، ولكن دون أن تلتزم التزاماً واضحاً إزاء التحديات الجديدة الناجمة عن كارثة الزلزال، وذلك لأن عمليات البرمجة لم يطرأ عليها أي تغيير. ومع ذلك، أعلنت جريدتا «لونوفيليست» و«لوماتان» أنهما ستعملان بمزيد من الحزْم، بل وسينخرطان في أنشطة نضالية، ويتخذان من هذه المأساة علة من أجل «التجديد».

اختناق الفكر النقدي

إني لا أوجه اللوم هنا لمن سبقوني، والذين فقدَ بعضهم حياته ثمناً للحق في ممارسة المهنة التي أمارسها الآن بشيء من الحرية. وكل ما أفعله هو أني أطرح تساؤلات بشأن بعض المواقف التي قد لا تبتعد أحياناً عن حد الإفراط في التعصب، وهو ما كان من شأنه تفاقم الخلافات، وازدياد حدة التوترات الاجتماعية السياسية، وفقدان مصداقية الصحافة.

إن أوجه القصور التي تعاني منها وسائل الإعلام تندرج في إطار أوسع نطاقاً: فالمجتمع الهايتي يفتقر إلى الإرادة الحازمة، ولا يُقدّر المتميزين، وتنقصه

© بلوم

أيها الصحافيون انزلوا إلى الأرض!

الطموحات الكبرى. وفضلاً عن ذلك، فإنه لم يعد في مقدور هذا المجتمع تجاوز الوضع الراهن المؤسف الذي يشهده منذ عدة عقود. أما المعرفة التي استندت إليها السلطة السياسية لفترة طويلة، فإنها لم تعد تسترشد بالأهداف البعيدة التي تستشرف آفاق المستقبل. وعلى العكس من ذلك، فإن هايتي تنتمي إلى فئة البلدان القليلة التي تفضي فيها المعرفة إلى التفرقة بدلاً من الوحدة. وفضلاً عن ذلك، فإن التصور السحري الديني للعلم من شأنه خلق أوضاع بعيدة عن الواقع. وهكذا فإن كثيرين من أبناء بلدي يعتقدون أن وفاة نحو ٢٠٠٠٠٠ نسمة جرَّاء الزلزال الذي وقع في ١٢ كانون الثاني/ يناير ٢٠١٠ إنما تُعزى إلى الإرادة الإلهية التي اقتضت ذلك، وليس إلى عدم الالتزام بقواعد التخطيط العمراني السليم. ونجم عن هذا الاعتقاد أن ازدحمت الكنائس بالمؤمنين، وأخذ القساوسة يفركون أيديهم ابتهاجاً.

وفي هذه الأثناء، ما زالت البرامج الإذاعية المسلية، أو بالأحرى التافهة، تحتل المكانة الأولى في البث الإذاعي لبعض محطات الراديو التي تكتسحها الإعلانات التجارية التي تروِّج للمنتجات المستوردة من خارج البلاد. ولكن ماذا عن المشاكل الحقيقية التي ينبغي تناولها؟ إن الإجابة عن هذا السؤال هي أن «ذلك ليس هو ما يريد الشعب الاستماع إليه». وهكذا يظل التفكير النقدي خاضعاً لعوامل الاختناق.

إن أملي كبير في مستقبل بلدي، وفي صحافة وطنية جديدة. كما أني اعتقد أن نخبة فكرية واقتصادية وسياسية جديدة ستبزغ من الأنقاض

© اليونسكو / ميشال رافسار

روبرسون ألفونس صحفي يعمل في الجريدة اليومية «لونوفيليست» (هايتي)، ويدير قطاع الأخبار في محطة إذاعة «راديو ماجيك٩»، ويرأس اللجنة المكلفة ببرامج التدريب المستمرة في رابطة هاييتي للصحفيين.

إعادة ابتكار الصحافة

إن الحاجة ملحة اليوم، أكثر من أي وقت مضى، إلى العمل على إحداث تغيير في نمط الإعلام، وإلى السعي لتنظيم اجتماعات في مجال الصحافة. وصحيح أن هذا التحول الكبير، المتمثل في ابتكار صحافة حديثة، ومهنية، وجريئة، وطموحة، ومستقلة عن السلطة السياسية والمصالح الاقتصادية، هو أمر قوْله، طبعاً، أسهل من تنفيذه. ولكن ينبغي القيام به. وسيتمثل ذلك في عملية طويلة وشديدة الدقة تستوجب إقامة شراكة مسؤولة بين الدولة، المُنظّمة في الواقع وفي القانون، وبين الأطراف الفاعلة الخاصة في قطاع وسائل الإعلام.

وجدير بالذكر أن تيارين فكريين تصادما، قبل وقوع الزلزال، بشأن ضرورة سن قانون للصحافة أو عدم ضرورة ذلك. أما الذين يحبذون سن هذا القانون، فهم يتطلعون إلى إنشاء هيئات مُنظمة على غرار المجلس الأعلى للوسائل السمعية البصرية في فرنسا. في حين أن الذين يعارضون هذا الاتجاه، والذين عانوا من نظام الحكم الديكتاتوري لأسرة ديفالييه، فهم يرون أن أية محاولة لتقنين الصحافة قد تؤدي إلى عودة النزعات الديكتاتورية. فالرأي القائل بأنه من الممكن عمل أي شيء بدون إرساء قواعد، ولا علامات يُسترشد بها، هو رأي يدل على الارتداد الوراثي الذي تشهده هايتي. ويُشكل ذلك عقبة كبرى.

هذا، وينبغي بادئ ذي بدء، أن تُنظم الصحافة الهايتية أمورها قبل أن تحشد القوى الاجتماعية والمعرفية. وعلى الأجل القصير، فإني اعتقد أن من الواجب إعداد برامج تدريبية للصحفيين. وهنا، فإن دعم اليونسكو، التي تربط بينها وبين رابطة هايتي للصحفيين صلات ممتازة، سيكون موضع الترحيب. وينبغي لوزارة التربية والتعليم أن تقوم بإعداد برامج التدريب الوطنية، وذلك بالتعاون الوثيق مع وزارة الثقافة والاتصالات، ورابطات الصحفيين ورابطات مديري دور الصحف. وبالإضافة إلى البرامج التدريبية، فإن الأمر يقتضي تناول مسألة مثيرة للجدل، ألا وهي: التطوير المهني. فاليوم، لا يتعدى الراتب الأساسي الشهري للصحفي مبلغ ١٠٠ يورو.

إن التحدي المطروح في مجال الاتصالات وفي غيره من القطاعات، هو تحدٍ ضخم. ومع ذلك، فإن أملي كبير في مستقبل بلدي، وفي صحافة وطنية جديدة. كما أني اعتقد أن نخبة فكرية واقتصادية وسياسية جديدة ستبزغ من الأنقاض. وأرى أن هذه النخبة ستضطلع بما يقع على عاتقها من مسؤوليات والتزامات، وأنها لن تدخر وسعاً لإنشاء مواطنة أخرى، ومجتمع آخر، ووعي بالسمات الجديدة التي تتميز بها هايتي. ومتى تمت إعادة بناء الصحافة الهايتية، فإنها ستضطلع بدور رائد في البلاد. ومن ثم ينبغي لها أن «تختار ممارسة الحرية المسؤولة»، كما عبَّر عن ذلك أحد الأصدقاء، وأن تميّز تمييزاً واضحاً وقاطعاً بين العلماء ورجال السياسة الهايتيين؛ وحاصل القول إن هذه الصحافة ينبغي لها أن تساعد الشعب ذا السيادة على أن يختار قادته على أفضل وجه. وإن كان الأمر خلاف ذلك، فلن تتحقق الأهداف المنشودة مرة أخرى. وقد حان الآن وقت العمل. ■

بقلم
راوول بيك

وراء حياة أكثر إنسانيةً

يمثل غياب الرؤية الكارثة الأشد قسوة التي تعاني منها هايتي. كما أن المأساة الجديدة التي يعيشها في الوقت الراهن هذا البلد، الذي عانى طويلاً من قلة الدعم، قد يكون من شأنها حفْز الطاقات الوطنية والدولية.

لنبدأ أولاً بدحض الفكرة القائلة إن الشعب الهايتي شعب مهزوم ومستسلم وعاجز. علينا عدم النظر إلى هايتي على أنها ضحية كارثة طبيعية. إذ يمكن لا بل يجب على العالم استخلاص العبر من المأساة الأخيرة لهذا البلد الذي يعد ١٠ ملايين نسمة، ومن تاريخه المديد أيضاً، بغية محاولة إحداث التغيير الجذري الذي يُعتبر ضرورياً جداً في السياق الدولي الحالي.

ما هو هذا السياق؟ إن سياق الاقتصادات المنهكة، والدول الغنية المثقلة بالديون، والاقتراحات المشكوك فيها – لا بل الغائبة – للخروج من الأزمة، والتفاوت الصارخ في المجتمعات المزدهرة، ودول العالم الرابع التي تُركت لمصيرها. والبطالة، وحالات الإفلاس والانتحار، والإحباط، والشكوك المحيطة بمفهوم الهوية، ليست إلا أكثر العوارض ظهوراً لغياب الخيارات المتاحة للمستقبل.

ويكمن الفرق الحقيقي والكبير بين أكثر البلدان ثراءً في العالم وأكثرها فقراً في أن الأولى تتمتع بموارد مادية وفكرية وبنيوية لتغيير المعادلة، شرط أن ترغب في ذلك. فمن الواضح أن ما ينقص اليوم هو الإرادة السياسية، وربما القدرة على ربط الطاقات ببعضها بعضاً أيضاً. ويتعين علينا أن نقبل أن العالم لا يسير كما يجب أن يسير، وأن نزود نفسنا بالوسائل اللازمة لإحداث تغيير عميق.

مشهد من الحياة اليومية في بور أو برانس، كانون الثاني/ يناير ٢٠١٠.

© صور الأمم المتحدة/ ماركو دورمينو

© ليا غوردون

انهيار إنتاج الأرز في التسعينيات من القرن الماضي بسبب التأثيرات الأجنبية.

تراكم حالات الفشل

تبرز ضرورة إحداث تغيير جذري نتيجةً لحالات الفشل التي اقترنت بالسنوات الستين الأخيرة. إذ فشلت أغلبية سياسات التنمية، وفشل التكيّف الهيكلي الرامي إلى تحسين اقتصادات البلدان النامية على نحو مستدام، وفشلت الأمم المتحدة حتى الآن في إيجاد تسوية للنزاعات، وفشل الاتحاد الأوروبي في موازنة الرأسمالية المستفحلة، وفشلت الكتلتان الإيديولوجيتان الكبيرتان بفعل عجزهما عن إعطاء حلول تتخطى احتياجاتهما ومصالحهما من حيث الهيمنة، وفشل مشروع بلدان عدم الانحياز القاضي باقتراح بديل جيد للشرخ المميت الذي ولدته الحرب الباردة، وفشل اليسار الدولي، لاسيما حركة الديمقراطية الاشتراكية، نتيجةً لعجزه عن تصحيح اختلال التوازن على المستوى العالمي. وأخيراً، فشل اليسار التقدمي في بلداننا النامية، إذ غالباً ما أُرغم على مواجهة الواقع بمفرده بعدما تخلى عنه أصدقاء النضال الغربيون بسبب انشغالهم بتأمين متطلبات صمودهم السياسي.

إن تراكم حالات الفشل هذه يدفعني إلى الاعتقاد أن الحل الحقيقي لمشكلات هايتي لن يأتي بمفرده. فلماذا ينبغي لنا أن نثق مجدداً بهذه الإرادة المعلنة لـ«مساعدة» هايتي اليوم؟ ولماذا ينبغي لنا أن نقبل عشوائياً بسيناريوهات أُعدت سريعاً وبعيداً عن بلدنا في بعض الأحيان؟ ويستنكر الكثير من المنظمات والحركات الهايتية العملية التي اعتُمدت لإعداد «خطة العمل للإنعاش والتنمية الوطنية» والتي اتسمت بتهميش شبه تام للفاعلين الاجتماعيين والمدنيين الهايتيين. وأضم صوتي إلى صوتهم لأعرب عن أسفي لهذه المسيرة القسرية التي لا تتيح لنا المشاركة بطريقة بناءة في إعادة بناء بلدنا.

إسقاط النموذج الحالي

ما نطلبه اليوم هو حياة أكثر إنسانيةً والمزيد من النقد الذاتي. وكتب جوناثان كاتز (أسوشييتد برس) في مقال صدر بتاريخ ٢٠ آذار/مارس ٢٠١٠ أن الرئيس الأمريكي الأسبق والمبعوث الخاص للأمم المتحدة في هايتي، بيل كلينتون، قدّم في ١٠ آذار/مارس «اعتذاراً علنياً لدعم السياسات التي دمرت إنتاج الأرز في هايتي خلال التسعينات». وصرّح أمام لجنة الشؤون الخارجية في مجلس الشيوخ الأمريكي: «ساعد ذلك على الأرجح بعض المزارعين في ولاية أركانساس (مسقط رأس كلينتون)، لكن الأمر لم يجدِ نفعاً. لقد أخطأنا».

وقبل ثلاثين عاماً، كانت هايتي بالفعل تستورد ١٩٪ فقط من احتياجاتها الغذائية وتصدّر الأرز وحبوب القهوة. لكن بدءاً من عام ١٩٨٦، أُرغم الرئيس الهايتي جان-برتران أريستيد، بطلب من بيل كلينتون وصندوق النقد الدولي بين جملة من الجهات، على الحد من الحواجز الجمركية في هايتي، بحجة التكيّف الهيكلي. وأضاف جوناثان كاتز أن سعر ست ليبرات من الأرز يساوي ٣،٨٠ دولار أمريكي في «رايسلاند فودز أوف أركانساس»، وهي دون شك أكبر شركة للأرز في العالم، في حين تُباع الكمية نفسها من الأرز المُنتج في هايتي بسعر ٥،١٢ دولار أمريكي.

إلى جانب ذلك، ينبغي لنا ألا ننسى أن العدد الكبير للقتلى الذين سقطوا في بورت-أو-برانس نجم بالتحديد عن مئات الآلاف من المزارعين الذين اضطروا إلى العيش في العاصمة للبحث عن عمل بسبب افتقارهم إلى الموارد وأساليب الإنتاج وعجزهم عن منافسة الواردات الغربية.

كل الأمور مترابطة ببعضها بعضاً: الحلول المزعومة التي قُدّمت في الماضي وكوارث اليوم. فقر جهة تولد ثروة الجهة المقابلة، والعكس بالعكس. ومصائرنا مرتبطة بمشكلات مشتركة ستعجز المعونة الدولية بمفردها عن حلها، ذلك لأننا بحاجة إلى رؤية شاملة.

ويمكن للمأساة وحالات الحداد التي تعيشها هايتي اليوم أن تتيح لنا إسقاط النموذج الحالي وتحويل الجزيرة إلى نموذج جديد لعمليات التدخل. وهذا الأمر ملح بالنسبة إلى بلدان الجنوب بقدر ما هو ملح بالنسبة إلى المدن الغربية الكبرى التي تشهد هي أيضاً تفاقماً متواصلاً في حالات التفاوت. وكلما أسرعنا في إحداث هذا التغيير الجذري، كلما أسرعنا في التلاقي على الدرب نفسه لنواصل معاً سعينا المشترك من أجل حياة أكثر إنسانيةً، وأكثر عدلاً، وأكثر إنصافاً... وربما أكثر سعادةً أيضاً.

هل المشروع طموح وغير واقعي وطوباوي؟ لا أظن ذلك. فالبشرية، على الرغم من جميع إخفاقاتها، عرفت كيف تثبت مدى وسع عطائها وإبداعها وشجاعتها، سواء كان ذلك على الصعيد الفردي أو على الصعيد الجماعي. ■

تعين علينا أن نقبل أن العالم لا يسير كما يجب أن يسير، وأن نزود نفسنا بالوسائل اللازمة لإحداث تغيير عميق.

© اليونسكو/ ميشال رافسار

راوول بيك شغل المخرج السينمائي راوول بيك منصب وزير الثقافة في هايتي بين عامي ١٩٩٥ و١٩٩٧، وله عدة أفلام منها «الرجل على الأرصفة»، و«لومومبا»، و«قضية فيلمان»، و«أحياناً في أبريل»، و«مدرسة السلطة». وبعدما قضى جزءاً من طفولته في الكونغو، أتم بيك تحصيله الثانوي في فرنسا والولايات المتحدة الأمريكية. وبعد إكمال دراساته في الهندسة والاقتصاد في ألمانيا، التحق بالأكاديمية الألمانية للفيلم والتلفزيون حيث بدأ مسيرته المهنية. وقبل يومين من وقوع الزلزال في مسقط رأسه بورت-أو-برانس، عُيّن بيك، بموجب مرسوم رئاسي، رئيساً للمدرسة الوطنية العليا لمهن الصورة والصوت (لا فيميس) في باريس.

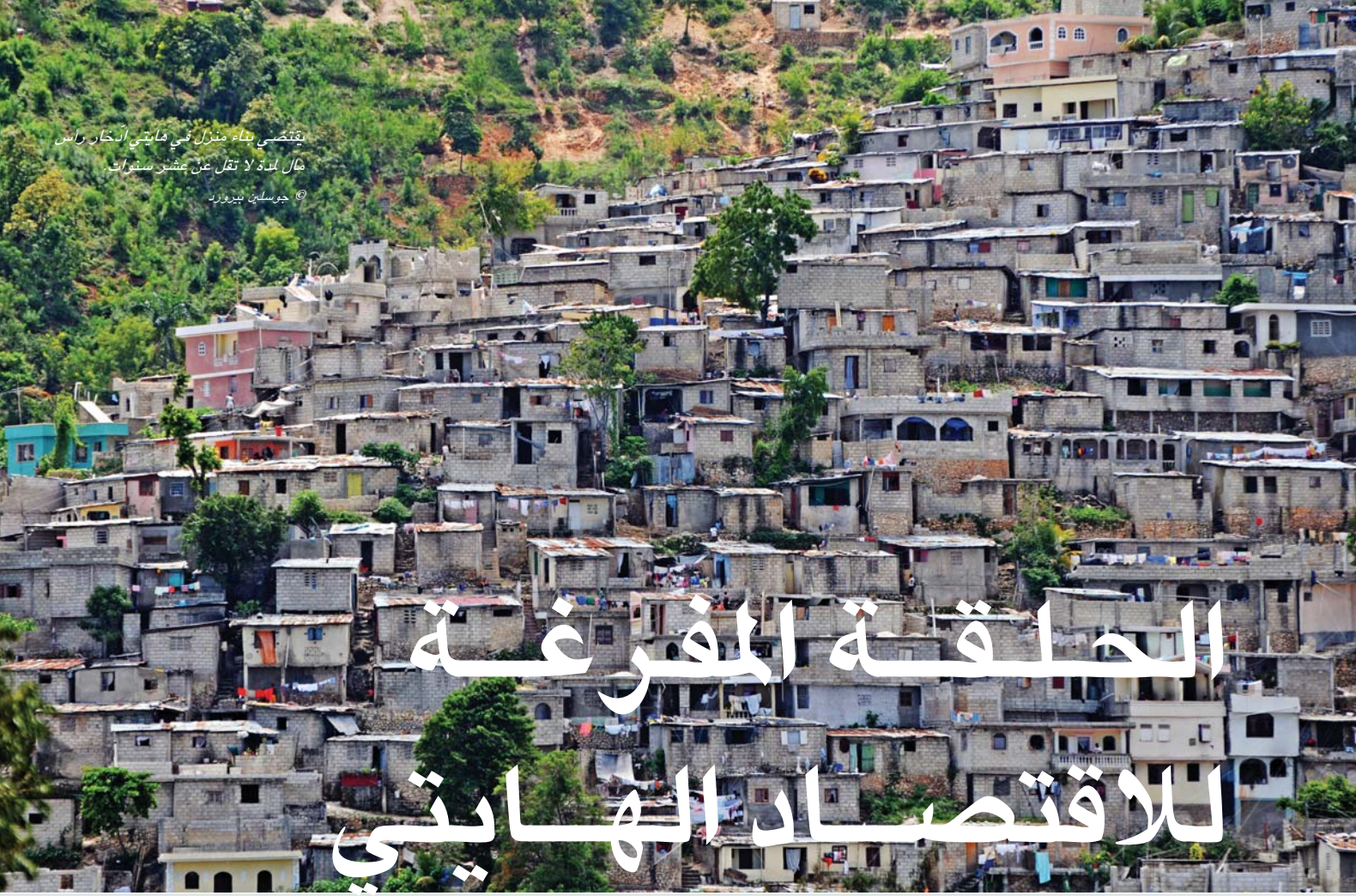

يقتضي بناء منزل في هايتي ادّخار رأس مال لمدة لا تقل عن عشر سنوات.
© جوسلين بيرورد

الحلقة المفرغة للاقتصاد الهايتي

بقلم
غيرالد شيري

إن حالة الجمود التي تشهدها هايتي تُبقي على نظام اقتصادي قديم يفضي إلى فقر يثقل كاهل المواطنين ويحول دون تحقيق أي تقدم. وبدلاً من انتظار العناية الإلهية التي يأمل الهايتيون أنها ستنتشلهم من هذه الأوضاع، فإنه ينبغي لهم إزالة النظام المستند إلى آليات مُدرّة للإيرادات والذي يُشل حركة البلاد.

ليس من الممكن بناء اقتصاد بلد قبل صياغة سياسة اقتصادية وإقامة إدارة تقع على عاتقها مسؤولية تنفيذها. غير أن هايتي تفتقر إلى هذين الجانبين المحورين. وجدير بالذكر أن الاقتصاد لا ينفصل عن فكرة التقدم، وهي بدورها غائبة في الظروف الحالية السائدة في هذا البلد. وهنا تكمن المأساة. فالمواطن الهايتي العادي لا يُقْدِم على الاضطلاع بدور الخبير التقني الذي يشارك في بناء بلده؛ بل إنه ينتظر أن يأتيه التقدم من الخارج. فالرخاء في نظره إنما هو بين يدي الله.

إننا في هايتي لا نوفر لأنفسنا الوسائل التي تتيح لنا أن نبني بلدنا بأيدينا، وأن نغيّر الواقع الذي نعيش فيه. كما أننا نتردد في اختيار السُبل المؤدية إلى إعادة بناء اقتصاد بلدنا. ونظل نراوح مكاننا دون حراك في ظروف مليئة بالشكوك والحيرة، ولا ندري ما العمل.

لقد وضعت الكارثة التي حلت بنا في ١٢ كانون الثاني/ يناير ٢٠١٠ حالة الجمود التي نعيشها موضع التساؤل. فبات من غير الممكن الإحجام عن تغيير نظام الاقتصاد الهايتي الذي ما زال يستند إلى الآليات المُدرّة للإيرادات. وهذا النمط من النظم الاقتصادية، الذي يعتمد على بعض مصادر للدخول، وهي زراعة البُنّ، لا تستفيد منه سوى فئة محدودة جداً من السكان، في حين تظل الأغلبية العظمى منهم في ظروف يُخيّم عليها الفقر والحرمان. فجميع جوانب الحياة السياسية في هايتي تقوم على الاستفادة من الإيرادات التي من شأنها حماية أفراد النخبة الذين يعرقلون تنويع الأنشطة الاقتصادية من أجل الحفاظ على ما يتمتعون به من امتيازات. وفي هذا الصدد، فإنهم يسعون، بكافة السُبل، إلى شَغْل المناصب السياسية الرئيسية. وفي هذه الحلقة المفرغة، تعاني الأُسَر الهايتية من أشد الظروف المعيشية قسوةً. فبناء منزل، على سبيل المثال، يقتضي أن يكون في مقدور أية أسرة ادّخار رأس مال لمدة لا تقل عن عشر سنوات، وأن تمضي بقية حياتها في انجاز البناء. ويُعزى ذلك إلى أن سياسة الائتمان تكاد تكون معدومة في هايتي. فالاقتصاد هناك يستند إلى الادخار المُسْبَق، الأمر الذي يُفضي إلى نظام الأموال الجانبية (أي: ائتمان يساوي المبلغ الذي يملكه المُقترض في حساب الادخار الخاص به)، وبالتالي، إلى انحرافات تتمثل في الاستثمار بالاعتماد على الأموال المكتسبة فقط.

إن هذا الوضع يكشف فشل سياسة نقدية وائتمانية تلبي احتياجات السكان، وذلك في بلد تهتم سلطاته الحاكمة، أولاً وقبل كل شيء، بمصالح ذوي الدخول. كما أنه يُظهر نشأة سلطات بديلة - أي: المنظمات غير الحكومية، والمجتمع الدولي و...العناية الإلهية - وهي سلطات يُفتَرض أنها تتكفل بتلبية احتياجات سكان البلاد.

ما من خلاص من دون قروض

لن تستقيم الأوضاع في هايتي دون اقتصاد يستند إلى الائتمان. فالواقع أنه إذا

صور الأمم المتحدة/ لوغان عباسي

أبٌ يحمل ابنته على كتفيه بعد أن أغرقت المياه منزلهما في بلدة "سيتي سوليّ" القريبة من بور أو برانس.

كان ينبغي أن تحصل الأُسَر المتضررة من الهزة الأرضية، والبالغ عددها ٢٠٠٠٠٠ أسرة، على مساكن، فالأمر يقتضي منحها قروضا عقارية تستحق السداد خلال ١٥ أو ٢٠ عاماً. ولما كانت الأُسَر لا يتوافر لها، بوجه عام، المساهمة البالغة نسبتها ٣٠ من المبلغ المطلوب لشراء مسكن، وهي مساهمة يفرضها القانون، فإن ضمانة القرض ينبغي أن تستند إلى ثمرة عملهم.

وإذا ما حصلت الأُسَر المتضررة من الزلزال على قروض عقارية، فإن من الواجب تقديم قروض مماثلة لجميع سكان البلاد. فمن الضروري تعميم نظام القروض بحيث ينتفع الجميع به، بما فيهم، على وجه الخصوص، الشركات التي ينبغي أن تتطور حتى يكون في مقدورها توفير فرص عمل للأُسَر المتضررة وتمكينها من سداد ديونها.

هذا، وينبغي أن يستند القرض إلى العمل التي سيزاوله المقترضون، أي إلى ما يتسمون به من كفاءات مهنية، وهو ما يستلزم توفير دورات تدريبية لهم تتكيف مع احتياجات السوق. ومن ثم فإن الحجم الإجمالي للقروض والاستثمارات يعتمد على كفاءة اليد العاملة وأهليتها التنافسية في السوق العالمية، لا على الادخار أو المساعدة الخارجية.

إن الاقتصاد الذي يستند إلى نظم الائتمان لا يخضع لإرادة القادة أو الأفراد، بل إنه يُمثل عاملاً أساسياً لجهاز الإنتاج. وإذا لم تتوافر للدولة سياسة من شأنها أن تتمتع مختلف الأطراف الفاعلة الاقتصادية بالمصداقية اللازمة، فإن البلد سيظل غارقاً في المشكلات ذاتها التي يشهدها من زمن بعيد.

وليس من الممكن إعادة بناء هايتي ما لم تتولَّ الدولة إدارة اقتصاد يلبي احتياجات جميع الفئات الاجتماعية، لا النخبة التي تعيش من إيراداتها.

كيف يمكن إدارة القروض والمنح؟

إن التضامن الرائع الذي أظهره المجتمع الدولي إزاء هايتي إنما يتمثل، على وجه الخصوص، في المنح والقروض التي ستساعد، قبل كل شيء، في إعادة بناء المحيط الحضري للبلاد. وتتقاسم شركات البناء الأموال اللازمة لذلك. وسوف يكون من دواعي ارتياح الممولين أن يتم تنفيذ برنامج إعادة البناء بأقل قدر من أوجه الفساد.

ومع ذلك، وفيما عدا عمليات تجديد بور أو برانس، فإن تأثير هذه المساعدة على الاقتصاد الوطني سيكون ضعيفاً ومؤقتاً، وذلك إذا ما اتجهت النية إلى استيراد مواد البناء على نحو كبير جداً. فمتى استنفدت الأموال، فسيتوافر للدولة عدة أبنية، وستحصل بعض الأُسَر على مساكن، وسيتخلف البعض الآخر عن الرَّكْب. وهكذا يكون الاقتصاد القائم على الدخل قد اجتاز فترة رخاء، في حين أن مشاكل تمويل الإنتاج وتوفير فرص العمل لم تجد لها حلاً. أما سوء إدارة الكوارث الطبيعية خلال السنوات العشر الأخيرة، فإنه يُعبر بقوة عن هذه الأوضاع.

ومن أجل الاستفادة بشكل كامل من المساعدة الخارجية وإرساء أسس اقتصاد جديد، ينبغي لقادة هذا البلد أن يطلبوا من المؤسسات الدولية إعفاء هايتي من الالتزام، بصورة مؤقتة، ببعض قواعد التجارة الدولية. كما يجب عليهم تشجيع إنشاء موجة أولى من الصناعات المتعلقة بالإنتاج (مصانع الفولاذ، مصانع إسمنت، مصانع الأدوات الكهربائية) وتجهيز المساكن (مصانع الأجهزة المنزلية الكهربائية، مصانع الأدوات الصحية، مصانع مواد الزخرفة)، وتلك هي قطاعات لم تلق تشجيعاً في الماضي بسبب ضعف الطلب عليها. وبالإضافة إلى ذلك، فينبغي التأكيد على أهمية أنشطة التدريب، وذلك لأن اليد العاملة المؤهلة والمنتجات التنافسية هي التي تتيح للبلاد، دون غيرها، سداد ديونها الخارجية.

وسيكون من الضروري إجراء تغييرات أخرى لدعم قطاع العمل في هايتي، بما فيها تحقيق اللامركزية والتنمية المحلية؛ وإصلاح نظام الرعاية الاجتماعية، مما يُشجع العمال على اختيار مهن في المؤسسات والشركات؛ وإجراء إصلاحات في السياسة المالية تتيح حشد رؤوس الأموال الداخلية؛ وإقامة شراكات بين القطاع العام والقطاع الخاص من أجل حفْز تنمية المؤسسات والشركات ومساعدة الدولة في المجالات الاقتصادية حيث لا تتسم مساهمتها بالفعالية؛ وإصلاح نظم التعليم الجامعي لتخريج عدد أكبر من الكوادر وتزويد مختلف الإدارات بأفكار جديدة بشأن التغيير الاقتصادي والاجتماعي.

© اليونسكو/ أندرو ويلر

غيرالد شيري، اختصاصي في الاقتصاد وعضو في اللجنة الوطنية للأسواق العامة في هايتي.

© اليونسكو / أندرو ويلر

المركز الوطني للفنون في بور أو برانس بعد وقوع الهزة الأرضية في ١٢ كانون الثاني/ يناير ٢٠١٠.

إن الحتمية الثقافية هي عبارة عن خليط من النظريات ذات العواقب الوخيمة التي تنسب الإخفاقات في مجال النمو وتطبيق الديمقراطية إلى عيوب في الخصائص الثقافية. ومن أجل أن تشكل الهوية الثقافية عاملاً من عوامل التنمية البشرية، فإن من الواجب أن تتحرر هذه الهوية من طابعها الخرافي.

بقلم
انطونيو فيجيلانت

الثقافة والتنمية: الوجه الآخر للميدالية

إن النقاش حول العلاقة بين الثقافة والتنمية لم ينته بعد. فلنحاول تعريف هذين المفهومين. ماذا يعنيه مفهوم الثقافة؟ يرى الكاتب الفرنسي ـ اللبناني أمين معلوف أن الثروة الثقافية التي تتوافر للأفراد أو المجتمعات لها بُعدان: بُعد عمودي يُكوّنه ما ورثناه عن أسلافنا وما جاءنا عبر التقاليد؛ وبُعد أفقي شكّله عصرنا ومعاصرونا. وماذا يعنيه مفهوم التنمية؟ إن هذا المفهوم لا يصح حصره في التمتع بمستوى معيشة لائق، ولا في ممارسة الحرية السياسية، وذلك وفقاً لما جاء في تقرير التنمية البشرية لعام ٢٠٠٤ الصادر عن برنامج الأمم المتحدة الإنمائي. فإن الحرية الثقافية تُعتبر الآن حقاً من حقوق الإنسان وعنصراً أساسياً من عناصر التنمية البشرية.

ومع ذلك، فليس ثمة صلة واضحة بين الثقافة والتنمية. فكثيراً ما تطالعنا آراء تقول بالحتمية الثقافية، ناسبةً الإخفاقات في مجال النمو وتطبيق الديمقراطية إلى تخلف ثقافي. ومن أجل دحض هذه النظريات ذات العواقب الوخيمة، ينبغي التسليم بأن الثقافة ليست هي العامل الوحيد الأساسي الذي يحدد حياتنا وهويتنا. فعلينا أن ننظر إلى الجنس، والطبقة الاجتماعية، والمهنة، والسياسة، والموارد البشرية والمادية كعوامل أساسية لا تقل تأثيراً عن الثقافة. ولما كانت الثقافات دائمة التطور، فإنها لا تسهم إلا بقدر ضعيف في مستقبل التنمية

تمثل الثقافة أداة هامة من شأنها تعزيز الثروة الاجتماعية الضرورية في عملية إعادة البناء.

في المجتمعات. وحاصل القول أنه لا توجد نظرية ثقافية شاملة لتفسير التنمية.

يتسم شعب هايتي وفنانوه بموهبة إبداعية هائلة تمثل مصدراً لروعة الفنون، والشعر، والرسم، والموسيقى «التي تتيح الكشف عن الطابع الأبدي للمجهول»، كما عبَّر عن ذلك الكاتب البوليفي إدواردو سكوت مورينو؛ وإن كان يضيف على لسان مفكر هايتي، بطل روايته التي تحمل عنوان «خادمة البارون سيميتيير[1]»: «ورغم ذلك فإنه لا يلوح لي في الأفق أي مستقبل اجتماعي وسياسي».

ويشير هذا التناقض الواضح إلى أن الثقافة وحدها لا تمثل عاملاً حاسماً لتحقيق التنمية، وخاصة إذا ما اعتبرناها مجرد إبداعات وتعبيرات فنية منفردة. غير أنه من

الممكن أن تمثل الثقافة أداة هامة من شأنها تعزيز الثروة الاجتماعية الضرورية في عملية إعادة البناء، شريطة أن يتم تشجيعها على نحو ملائم، وخاصة عن طريق السياسات العامة.

عاصفة أخرى

تتوافر في هايتي جميع الظروف المؤدية إلى حدوث «عاصفة تامة»[1] فيما يخص مجال التنمية والتي تعود إلى سببين، ألا وهما: اغتراب سكان البلاد وقلة المؤسسات القانونية التي تؤدي وظيفتها. كما أن عدم وجود عقد اجتماعي سليم وقانوني بين الدولة والمواطن يشكل عنصراً محورياً في هذه الأزمة الهيكلية. ولقد أفضت الكوارث الطبيعية الأخيرة إلى اشتداد حدة هذه العاصفة وتفاقم معاناة الشعب الهايتي بصورة مأساوية.

وثمة اتفاق عام واسع النطاق على ضرورة إعادة التأسيس في هايتي، قبل الاهتمام بإعادة البناء فيها. ولمواجهة هذا التحدي، ينبغي إيلاء أهمية للهوية الثقافية، دون أن تتحول إلى أسطورة، وذلك لأن عملية إعادة التأسيس لا يمكن القيام بها إلا عن طريق تطوير القيادة السياسية والقدرات المؤسسية والحركات اجتماعية، فضلاً عن الفهم المشترك لطبيعة التنمية المستدامة الوطنية التي تمثل الهدف المنشود. وينبغي أن يتم تحقيق الثراء الثقافي والإبداعي عن طريق تدابير ترمي إلى تعزيز الثراء الاجتماعي للأفراد، وهو الثراء الذي يتمثل في القيم والآليات والثقة والتفاعلات التي تتيح استغلال القدرات الإنمائية للبلاد على وجه أمثل.

وتشير خطة العمل من أجل التنمية الوطنية التي أعدتها الحكومة إلى عدد من السُبل المؤاتية، التي تتمثل على وجه الخصوص في تطبيق اللامركزية، وإنشاء محاور للتنمية الإقليمية وضخ الاستثمارات في مجال الثقافة. وصحيح أنه لم يغب عن بال الأشخاص الذين شاركوا في صياغة هذه الخطة معاناة سكان البلاد ويأسهم، كما أنهم كانوا واعين بضرورة العمل بصورة عاجلة؛ بيد أنه ليس من الممكن تنفيذ مشروع إذا ما تمت صياغته من قِبل السلطات العليا، كما هو الحال فيما يخص هذه الخطة.

هذا، وتتمثل الخطوة الأولى في عملية إعادة التأسيس في تكوين قيادة سياسية وطنية من شأنها إضفاء الطابع اللامركزي على السلطة، وذلك من أجل أن يشارك سكان البلاد مشاركة فعلية في صياغة الأولويات المحلية والوطنية. وينبغي أن يكون في مقدور هذه القيادة أن تصمم نظما لتنفيذ المشاريع اللازمة، وأن تضطلع بالمسؤوليات السياسية والاقتصادية الكفيلة بإسناد دور فعال وملتزم للمواطنين، بدلاً من أن يكونوا مجرد «معالين».

وإني أرى أن الفرصة متاحة لهايتي لكي تبدأ بداية جديدة عن طريق وضع مشروع يرمي إلى تحقيق أهداف اقتصادية واجتماعية وطنية يلتف جميع مواطني البلاد حوله، وتُشكل، في إطاره، مواهب هؤلاء المواطنين الثقافية والإبداعية أداة من الأدوات الرئيسية الكفيلة بالربط بين كافة المجالات الحياتية. ■

يُمثل البارون سيميتيير، مع الباروي دي لاكروا والبارون سامیدي، روح الموت في المعتقدات الفودية.

"العاصفة التامة": عنوان الرواية التي ألفها الكاتب الأمريكي سيباستيان يونجار وعنوان الفيلم المأخوذ من هذه الرواية والذي أخرجه المخرج الألماني وولفغانغ بيترسون (العنوان بالإنكليزية : The Perfect Storm)، ويعني هذا التعبير مجموعة مركبة من الظروف التي تؤدي إلى تفاقم الأوضاع بصورة درامية.

© اليونسكو/ ميشال رافسار

انطونيو فيجيلانت (ايطالي الجنسية)، هو مدير مكتب الأمم المتحدة وبرنامج الأمم المتحدة الإنمائي (PNUD) في بروكسل، بلجيكا. كما أنه كان يشغل منصب المنسق المقيم للأمم المتحدة والممثل المقيم لبرنامج الأمم المتحدة في مصر وبلغاريا وبوليفيا. وقد شغل قبل ذلك عدة مناصب في إطار منظومة الأمم المتحدة في نيويورك وباربادوس وإثيوبيا وهندوراس وبوليفيا.

خلال السبعينات، كانت هايتي تستورد ما نسبته ١٠٪ من احتياجاتها من المواد الغذائية الضرورية؛ أما الآن ،فقد ارتفعت هذه النسبة وبلغت ٦٠ ٪. وبالإضافة إلى ذلك ،أوكلت الدولة إلى المنظمات غير الحكومية مهمة توفير ٨٠ ٪ من الخدمات العامة .فأين وقع الخطأ؟

لوحة للرسام الهاييتي بريفيت دوفُو.

© اليونسكو/ اليكسيس فورونزوف

أعمدة الحكمة الأربعة في إعادة البناء في هايتي

بقلم اليكس دوبوي

كانت العاصمة الهايتية تسير نحو الكارثة قبل زمن طويل من وقوع الزلزال بقوة ٧ درجات الذي دمّر بورت-أو-برانس وضواحيها بتاريخ ١٢ كانون الثاني/يناير ٢٠١٠.

كانت المدينة تعد ١٥٠ ٠٠٠نسمة عام ١٩٥٠. وارتفع هذا العدد إلى ٧٣٢ ٠٠٠ عام ١٩٨٢، وتراوح بين مليوني وثلاثة ملايين نسمة عام ٢٠٠٨. غير أن البنى الأساسية في بورت-أو-برانس لم تتطور بالتناسب مع النمو المطرد لعدد السكان. كما أن القلة القليلة من الخدمات المقدمة كانت تعاني من سوء إدارة أو كانت موجهة بصورة رئيسية إلى أكثر الأحياء أو الضواحي ثراءً في العاصمة. ونتيجةً لهذا الواقع، اقتصرت نسبة الهايتيين المنتفعين بالخدمات الصحية على ٢٨٪، و٥٤٪ فيما يخص مياه الشرب، و٣٠٪ فيما يخص خدمات الصرف الصحي. وتخلت الدولة الهايتية منذ فترة طويلة عن مسؤولياتها تجاه أغلبية المواطنين في المدن والقرى على حد سواء. وتركت الدولة مهمة خدمة السكان للجهات المانحة الثنائية والمتعددة الأطراف وللمنظمات غير الحكومية، وذلك منذ عهد دوفالييه [١٩٥٧] بأقل تقدير. وتُعتبر هايتي البلد الذي يعمل فيه أكبر عدد من المنظمات غير الحكومية في العالم. وتقدّم هذه المنظمات في المناطق الريفية ما يصل إلى ٧٠٪ من خدمات الرعاية الصحية و٨٠٪ من الخدمات العامة. وأدى هذا الوضع إلى ازدياد إهمال الدولة وإلى خصخصة كامل الخدمات الأساسية تقريباً. لكن لسوء الحظ، لم يساعد انتقال الجزيرة إلى النظام الديمقراطي على تغيير هذا الواقع.

وتفيد التقديرات بأن عدد ضحايا الزلزال تراوح بين ٢٥٠ و٣٠٠ ٠٠٠ قتيل. ويعتبر بنك التنمية للدول الأمريكية أن قيمة الأضرار المادية التي نجمت عن الهزة الأرضية قد تصل إلى ما يتراوح بين ٨ و١٣ مليار دولار أمريكي، مما يجعل من هذا الزلزال أكثر الكوارث الطبيعية كلفةً في التاريخ المعاصر. وأدى الزلزال إلى تشريد أكثر من ١،٣ مليون شخص لم يحصل سوى ما يتراوح بين ٥٠ و٦٠٪ منهم على ملجأ طارئ. وكان علماء الجيولوجيا الهايتيون قد أنذروا السلطات باحتمال وقوع زلزال منذ سنوات عديدة. لكن لم تُتخذ أي تدابير للتصدي لهذا الاحتمال، وهو تماماً ما حصل فيما يتعلق بالأعاصير والعواصف الاستوائية التي تسببت بخسائر بشرية ومادية كبيرة قبل بضع سنوات [في عامي ٢٠٠٤ و٢٠٠٨]. والحقيقة هي أن الدولة الهايتية غير قادرة ببساطة على الاستجابة لأزمة بهذا الحجم (أو أقل حدةً منها). ويعود ذلك بصورة رئيسية إلى أن المسؤولين السياسيين عمدوا دائماً إلى اتخاذ تدابير قصيرة الأجل تضع في المقام الأول مصالح مجموعة صغيرة من المواطنين. وتُعتبر هايتي البلد الثاني في القارة الأميركية، إلى جانب بوليفيا، حيث يبلغ التفاوت في المداخيل أقصى درجاته. فأكثر السكان ثراءً في هايتي والبالغة نسبتهم ١٠٪ يسيطرون على ٤٧٪ من الإيرادات الوطنية، في حين أن ٢٪ من الهايتيين يمتلكون ٢٦٪ من الثروة الوطنية. إلى جانب ذلك، فإن أكثر السكان فقراً في الجزيرة والبالغة نسبتهم ٢٠٪، يحصلون على ١،١٪ من الإيرادات الوطنية. ويُذكر أن ٧٦٪ من السكان يعيشون بأقل من دولارين يومياً، وأن ما يزيد عن ٥٠٪ منهم يعيشون بأقل من دولار واحد في اليوم.

غير أن القادة المحليين لم يوجدوا هذه الظروف بمفردهم، بل تعاونوا على نحو وثيق مع الحكومات والفاعلين الاقتصاديين الأجانب الذين لديهم مصالح قديمة في هايتي، لاسيما الفاعلين المنتمين إلى البلدان المتقدمة (الولايات المتحدة الأمريكية، وكندا، وفرنسا) والمؤسسات المالية الدولية

© أوليفيه بيتو

منظر من مدينة كاب هايتيان.

(البنك الدولي، وصندوق النقد الدولي، وبنك التنمية للدول الأمريكية). وجعلت هذه المنظمات من هايتي مصدراً ليد عاملة رخيصة للغاية بالنسبة إلى المستثمرين المحليين والأجانب في مجال تجميع القطع، وأحد المستوردين الرئيسيين في القارة الأمريكية للمواد الغذائية المُنتجة في الولايات المتحدة. وأتى هذا الوضع نتيجةً لسلسلة من سياسات «التكيّف الهيكلي» التي تقوم على إبقاء الأجور عند مستويات متدنية، وإزالة كل العوائق التي تعترض التجارة الحرة، وإلغاء القيود الجمركية والكمية المفروضة على الواردات، وخفض الضرائب على أرباح الصناعيين وصادراتهم، وخصخصة الشركات العامة، وخفض عدد الوظائف في القطاع العام، وتقليص النفقات الاجتماعية للحد من عجز الميزانية.

لكن في الوقت عينه، أدت التدابير المتخذة منذ الثمانينات لإزالة الحواجز الجمركية والكمية عن الواردات الغذائية إلى إلحاق الضرر بالقطاع الزراعي. ففي السبعينات، كانت هايتي تستورد ما لا يزيد عن ١٠٪ من المواد الغذائية لتلبية احتياجاتها. غير أن هذه النسبة باتت تساوي اليوم ٦٠٪، مع الإشارة إلى أنه ينبغي تخصيص ٨٠٪ من إيرادات التصدير لتسديد تكاليف هذه الواردات. ويُذكر أن هايتي، التي كان لديها اكتفاء ذاتي من حيث الأرز والسكر والدواجن والخنازير، أضحت اليوم رابع أكبر مستورد في العالم للأرز المُنتج في الولايات المتحدة، وأول مستورد في الكاريبي للمواد الغذائية المُنتجة في الولايات المتحدة. وتُرجمت بالتالي خطوة تحرير التجارة بنقل الثروة من المزارعين الهايتيين إلى المزارعين الأمريكيين وإلى الشركات القليلة في هايتي التي تسيطر على الواردات الغذائية. وفي الوقت الذي كان يتدهور فيه الاقتصاد الوطني، ازداد اعتماد هايتي على تحويلات المغتربين التي شكلت ٢٠٪ من الناتج المحلي الإجمالي للبلاد عام ٢٠٠٨.

إلى جانب ذلك، فإن الضغوط الرامية إلى إلغاء الديون المتوجب على هايتي تسديدها للجهات المانحة الثنائية والمتعددة الأطراف تشتد أكثر فأكثر اليوم. وأقدمت المؤسسات المالية الدولية عام ٢٠٠٩ على إلغاء نصف ديون هايتي، أي ما يساوي ١،٢ مليار دولار أمريكي. وأعلنت الولايات المتحدة وصندوق النقد الدولي أنهما سيواصلان عملهما مع المجموعة الأخرى من الجهات المانحة الثنائية والمتعددة الأطراف لتخفيف ديون هايتي. لكن على الرغم مما تكتسيه هذه التدابير من أهمية، فإنها لا تغير أي معطيات في السياسات العامة للمؤسسات المذكورة، كما أنها لا تساعد على تصحيح الأضرار التي ألحقتها بالاقتصاد الهايتي خلال السنوات الأربعين الأخيرة.

مصير هايتي يقع مجدداً في أيدي المجتمع الدولي

ما هي إذاً التدابير التي ينبغي اتخاذها؟ كان من المفترض إجراء انتخابات نيابية في شباط/فبراير وآذار/مارس ٢٠١٠، لكنها أُرجئت بسبب الزلزال. وأقدم الرئيس بريفال وإدمون موليه، الرئيس الجديد لبعثة الأمم المتحدة في هايتي، على تجديد مطالبتهما بإجراء الانتخابات في أقرب وقت ممكن. وكان من المفترض إجراء الانتخابات الرئاسية في تشرين الثاني/نوفمبر. لكن مصيرها لا يزال مجهولاً أيضاً. وأصدرت الحكومة حديثاً «خطة العمل لإعادة البناء والتنمية الوطنية في هايتي»، أو ما يُعرف بـ«تقييم الاحتياجات في أوضاع ما بعد الكارثة». وتعتبر خطة العمل هذه، التي تم إعدادها بمساعدة أعضاء ينتمون إلى وكالات دولية ومؤسسات مالية، أن تكاليف عملية إعادة البناء قد ترتفع إلى ١١،٥ مليار دولار أمريكي. وتضع خطة العمل رؤية على الأجل القصير والمتوسط والطويل تقوم على نقل السلطة والسكان والشركات الصناعية خارج بورت-أو-برانس واستثمار عدة مليارات من الدولارات في البنى الأساسية، وقطاع البناء، والسياحة، وحماية البيئة، والخدمات العامة، والزراعة.

ولا شك في أنه ينبغي أخذ معظم هذه التوصيات في الاعتبار إذا ما أردنا إنعاش الاقتصاد الوطني الذي تزعزعت أسسه بصورة عميقة. لكن، بما أن الحكومة عجزت عن اتخاذ تدابير فعالة في أعقاب الدمار الذي تسببت به الأعاصير والعواصف الاستوائية عام ٢٠٠٨، ثمة احتمال ضئيل أن تختلف الأمور هذه المرة، خاصةً وأن ولاية الحكومة ستنتهي قريباً. وفرض المجتمع الدولي تحدياً على الحكومة بإصراره على تشكيل لجنة توجيهية تضم ١٧ عضواً يتمتعون بحق التصويت لتكليفها بإنشاء وإدارة لجنة مؤقتة معنية بالتنمية، فضلاً عن صندوق استئماني يشمل عدة جهات مانحة. وستتألف اللجنة التوجيهية من ثمانية ممثلين رئيسيين للمجتمع الدولي للجهات المانحة (الولايات المتحدة، وكندا، وفرنسا، والبرازيل، والاتحاد الأوروبي، وبنك التنمية للدول الأمريكية، والبنك الدولي، والأمم المتحدة)، ومن ممثل للجماعة الكاريبية، وممثل للجهات المانحة المالية، وسبعة ممثلين للدولة الهايتية. ويتضح بالتالي أن المجتمع الدولي

© أوليفيه بيتو

سيتمتع بأغلبية حقوق التصويت فيما قُدّم على أنه خطة لتنمية هايتي وإعادة بنائها.

علاوةً على ذلك، وعلى الرغم من الغموض الذي تتسم به خطة العمل فيما يخص الاقتراحات المتعلقة بالسياسات الصناعية والزراعية الخاصة، فإن المجتمع الدولي كان قد اتفق على هذه النواحي قبل الزلزال بكثير. ففي عام ٢٠٠٩، طلب أمين عام الأمم المتحدة، بان كي-مون، من بول كولييه، وهو خبير اقتصادي أسبق في البنك الدولي، أن يعِد خطة تنمية لهايتي، وكلّف الرئيس الأمريكي الأسبق بيل كلينتون بإدارة هذه الخطة. وفي توجهات مماثلة لتلك الواردة في خطة العمل، يدعو تقرير كولييه إلى تحقيق لامركزية الاستثمارات، وبناء شبكات للمواصلات والاتصالات، وإنشاء تجمعات للإنتاج الصناعي والزراعي في مختلف أنحاء البلد. وتقوم هذه التوصية الأخيرة بصفة رئيسية على إنشاء مناطق جديدة للتجارة الحرة في قطاع النسيج (إلى جانب المناطق الموجودة حالياً في بورت-أو-برانس وأوانامينت)، فضلاً عن تجمعات من النوع عينه لإنتاج وتصدير مجموعة مختارة من المنتجات الغذائية.

إعادة النظر في النموذج... كلياً

أعتقد أنه إذا توجب إعادة بناء هايتي على قاعدة مختلفة تضع في المقام الأول احتياجات ومصالح الفقراء الذين يشكلون أغلبية السكان في البلاد، سيكون من الضروري إعادة النظر في النموذج الذي جعلت منه القوى العظمى مبدأً لها والذي قبلته الحكومات المتساهلة التي تعاقبت في هايتي من دون تردد. وتجدر الإشارة إلى أن المنظمات الريفية والحضرية المحلية ومختلف قطاعات المجتمع المحلي، التي تم تجاهلها أو تهميشها بصورة منهجية لدى إعداد الخطة الرسمية، سبق لها أن فكرت في نموذج جديد. ويمكن تلخيص الصيغة البديلة التي اقترحوها بالنقاط الرئيسية الأربع التالية:

١ – رفض أو إعادة التفاوض بشأن مجمل الصيغ المختلفة لسياسات التكيّف الهيكلي التي اقترحتها المؤسسات المالية الدولية.

٢ – استهلال مشروع وطني واسع النطاق للأشغال العامة بغية إعادة بناء وتطوير البنى الأساسية في هايتي، وشبكة الاتصالات، ووسائل النقل، والمدارس العامة، ومرافق الصحة العامة، والمساكن الاجتماعية.

٣ – إعطاء الأولوية للأمن والسيادة الغذائيين عن طريق دعم الإنتاج الموجه إلى السوق المحلي والتشجيع على تنمية المنشآت الصغيرة والمتوسطة التي تستخدم المنتجات الهايتية لتصنيع السلع الاستهلاكية للسوق الوطني، وربما للأسواق الأجنبية أيضاً (الإنتاج الحرفي على سبيل المثال).

٤ – حماية حقوق جميع العمال، لاسيما الحق في إنشاء النقابات، والحق في إجراء مفاوضات جماعية، والحق في تنظيم الإضرابات، والحق في تقاضي رواتب معيشية.

ومن الواضح أن هذه الأهداف لن تتحقق بصورة متزامنة أو مباشرة. لكن يجب أن تشكل أساساً لكي يتحرك السكان بكثافة بغية حث الحكومة على تحمل مسؤولياتها وإعادة التفاوض بشأن العلاقات التي تقيمها هايتي مع المجتمع الدولي. ويجب أن نأمل أيضاً أن السكان لن يضعوا مصيرهم في أيدي أشخاص يدعون النبوة خلال الانتخابات المقبلة.

© اليونسكو / أندرو ويلر

اليكس دوبوي هو أستاذ في علم الاجتماع في جامعة ويسليان (الولايات المتحدة)، تميّز بالبحوث التي أجراها في مجال التنمية الاجتماعية والاقتصادية والسياسية في هايتي والكاريبي. ووضع دوبوي مؤلفات عدة، منها «هايتي في الاقتصاد العالمي: الطبقة والعرق والتخلف منذ عام ١٧٠٠» (١٩٨٩)، و«هايتي في النظام العالمي الجديد: حدود الثورة الديمقراطية» (١٩٩٧)، و«النبي والسلطة: جان-برتران أريستيد، والمجتمع الدولي، وهايتي» (٢٠٠٧).

© اليونسكو/ برنارد الحجاج

الجامعة على قارعة الطريق

قام نموذج تعليمي جديد من تحت أنقاض جامعة كيسكويا، في هايتي، التي انهارت تماماً بسبب الهزة الأرضية التي وقعت في ١٢ كانون الثاني/ يناير ٢٠١٠ وأودت بحياة ١٧ طالباً وموظفاً. ويرمي هذا النموذج، الذي يستند إلى العمل التطوعي، إلى إقامة شراكات. وقد شرح صاحب هذه المبادرة جاكي لومارك، رئيس الجامعة، الغرض من إنشاء هذا النموذج في مقابلة مع النشرة الإعلامية لقطاع التربية نقتطف منها عدة فقرات.

لقد وضعت جامعة كيسكويا نظاماً للعمل التطوعي بعد عشرة أيام من وقوع الهزة الأرضية. كيف قمتم بذلك؟

في مرحلة أولى، أقام طلبة كلية الطب في خيمة نُصبت في موقف للسيارات. وتولى معلموهم، في بداية الأمر، الإشراف عليهم، ثم انضم إلى هؤلاء المعلمين فريق من الأطباء السلوفاكيين مزودين بكميات من الأدوية والمعدات الطبية، وأخذوا في البحث عن مكان مناسب يعملون فيه. وبعد ذلك، أقام الطلبة عيادة متنقلة. وتم تنظيم مراكز لتوزيع مياه الشرب. أما طلبة كلية الدراسات الهندسية فإنهم نزلوا إلى الشوارع لمساعدة الناس على تشكيل لجان تضمهم، وذلك لإدارة المخيمات المؤقتة وتنفيذ أنشطة تقسيم المناطق، وخدمات الصرف الصحي وإدارة النفايات. وهكذا صارت الجامعة بمثابة جهاز ضخم لتوفير المتطوعين!

وبالإضافة إلى ذلك، تم نصْب إحدى عشرة خيمة أخرى. وقد تابع طلبة علوم التربية مقررات دراسية مكثفة في مجال المساعدة السيكولوجية الاجتماعية، ثم قاموا بصورة شبه فورية بتطبيق ما اكتسبوه من معارف في هذا الشأن في الشوارع. كما أنهم شاركوا في تنظيم حلقات عمل علاجية تستند إلى الإبداع الفني وموجهة إلى ما يقرب من ١٥٠ طفلاً كل عطلة نهاية الأسبوع، وذلك في إحدى الخيام. وقد قلت لهم:»الآن، تقبع جامعتكم على قارعة الطريق».

وأثناء عطلات نهاية الأسبوع، كان الطلبة يلتقون معلميهم بغية إضفاء الطابع النظامي على مناهج

***Edu*Info** هي النشرة الإلكترونية التي يصدرها قطاع التربية، والتي تجمع الأحداث والمطبوعات الأخيرة. ولمزيد من المعلومات، يُرجى الاتصال بالعنوان التالي:
www.unesco.org/fr/education

التعليم غير النظامي التي تابعوها خلال الأسبوع، أو لتطبيق النظريات تطبيقاً عملياً. ونحن الآن بصدد إعداد نظام يتيح مكافأة ما بذلوه من جهود. وهم يرون أن هذه التجربة قد غيرت نموذج التعليم. ثم أنهم أدركوا أن التدريس ليس بالضرورة وحيد الاتجاه، وأنه لا بدّ من ممارسته بين أربعة جدران عن طريق مُعلم يعرف كل شيء ويستعرض معارفه المتنوعة. وبفضل مبادرة العمل التطوعي هذه، فإن من الممكن اكتساب المعارف على قارعة الطريق تحت إشراف مُعلم يتابع هذه العملية. وهكذا فإننا «ننزع الطابع المؤسسي» عن المعارف.

هل استطاع الطلبة أن يواصلوا التعلم؟

لقد ربطنا إحدى الخيام بشبكة الإنترنت. وأطلقنا على هذه الخيمة اسم «الخيمة الرقمية». كما تم تنظيم محاضرات عن طريق الفيديو مع جامعتي مونتريال وباريس لطلبة الماجستير. ونسعى في الوقت الحالي لاستحداث نظام لتوفير المقررات الدراسية بالاتصال الإلكتروني المباشر، بحيث يتمكن الطلبة الذين أنهوا تقريباً العام الدراسي من المشاركة في الامتحانات.

ما هي المرحلة المقبلة؟

لما كان ما بين ٤٠٠ إلى ٥٠٠ طالب تقريباً لم يتمكنوا من متابعة المقررات الدراسية للنصف الثاني من السنة، الذي كان من المقرر أن يبدأ في نهاية شهر كانون الثاني/ يناير، فقد اقترحنا عليهم متابعة مقرر دراسي أساسي للتعليم العام مقترن بمقررات دراسية مدتها أقصر (الإدارة الأساسية، البرمجيات، الإسعافات الأولية، الوقاية من المخاطر، تنظيم المجتمعات، الخ.)، وذلك خلال فترة تمتد ١٥ أسبوعاً.

هذا، ويتمثل التحدي الضخم الذي يتعين علينا التصدي له في إعادة العمل في الجامعة على نحو مستدام، وذلك باستحداث نظام للرعاية تقوم جهات مانحة في إطاره بتقديم ما يقرب من ٢٠٠ دولار شهرياً لكل طالب، مما يتيح للطلاب مواجهة نفقات المعيشة اليومية، مع مواصلة أنشطتهم التطوعية. وينبغي أن تشمل هذه المساعدة أيضاً مصاريف التسجيل في الجامعة والنفقات المتعلقة بتشغيلها وموظفيها. والواقع أننا في حاجة لمثل هذه الرعاية لأن مؤسستنا هي مؤسسة خاصة لا تقدم لها الدولة أية مساعدة مالية.

هل غيَّرت الهزة الأرضية وجهة نظرك فيما ينبغي القيام به لإعادة بناء النظام التعليمي في هايتي؟

هذا صحيح تماماً. فنظراً لانهيار النظام التعليمي بسبب هذه الكارثة، فقد قمت بصياغة مقترحات جديدة من أجل إقامة «ميثاق» تعليمي وطني وقدمتها إلى حكومة هايتي. واليوم، فإن المقصود ليس هو «العمل على أن يعود التلاميذ إلى مدارسهم» فحسب، وإنما يتعين أيضاً السعي لكي يلتحق جميع أطفال هايتي بالمدارس، بما فيهم ما نسبته ٢٥٪ من الأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين ٥ و١١ سنة، والذين كانوا غير مقيدين في المدارس قبل وقوع الزلزال. وفيما يتعلق بهذا الموضوع بالذات، فقد استشرت عدداً كبيراً من الآباء والمعلمين والطلبة والمنظمات غير الحكومية العاملة في قطاع التعليم. وتمثل الميزانية المخصصة للتعليم اليوم ما نسبته ٩٪ من الناتج المحلي الإجمالي في هايتي. وأتمنى أن تصل هذه الميزانية إلى مستوى يبلغ ٢٥٪ في ٢٠١٥ و٣٠٪ في ٢٠٢٥ . ويتمثل الهدف إذن في رفع معدلات الالتحاق بالمدارس لتصل إلى ١٠٠٪، وفي توفير تعليم مجاني، وكتب مدرسية وأدوات تعليمية، ووجبات غذائية ساخنة كل يوم ولكل طفل. ولتحقيق ذلك، ينبغي توفير أنشطة تدريبية مُسرَّعة للمعلمين. وتتسم هذه المقترحات بالطموح، ولكنه لا يمكن لنا أن نواصل العمل في إطار ذي مسارين. ■

جاكي لومارك، رئيس جامعة كيسكويا، برفقة إيرينا بوكوفا، المديرة العامة لليونسكو (على يسارها) ، لدى قيامها بزيارة مباني هذه الجامعة التي تهدمت.

«الآن، توجد جامعتكم على قارعة الطريق».

جاكي لومارك، المتخصص في الرياضيات، يشغل، منذ ٢٠٠٦، منصب رئيس جامعة كيسكويا التي أنشأها في عام ١٩٩٠ أساتذة جامعيون بمشاركة مجموعة من الشركات الهايتية. وقد كان مديراً لشركة Consult Capital، وهي شركة خاصة للاستشارات المتعلقة بالشؤون الاقتصادية والمالية والإدارة، ويرأس حالياً اللجنة الرئاسية المعنية بالتعليم في هايتي.

© اليونسكو/ فيرناندو بروغمان

© شارلز كاريه

حتى نخرج من معادلة: نفس الأسباب لنفس النتائج

بقلم **جان كولانج**

يتسم التعليم في هايتي ،منذ ٢٠٠ عام ،من الناحية النظرية، بأفضل وضع ممكن .أما من الناحية العملية ،فإن التعليم يتعثر ويؤدي إلى مجتمع تسوده عوامل عدم المساواة والظلم .ومن ثم فإن الأمر يقتضي اختياراً إيديولوجياً جديداً.

منذ عهد توسان لوفرتور عام ١٨٠١، عمدت كل الحكومات الهايتية، باستثناء الحكومة التي ترأسها ألكساندر بيتيون (١٨٠٦–١٨١٨)، إلى إنشاء هيئة سياسية وإدارية معنية بالتعليم. وتنص المادة ١٩ من دستور عام ١٨٠٥، الذي أصدره الإمبراطور جان جاك ديسالين، على أن التعليم شأن من شؤون الدولة. ويُذكر أن الملك هنري الأول، المعروف باسم الملك كريستوف والذي أقدم على تشكيل حكومة انفصالية شمال البلاد (١٨٠٧–١٨٢٠) عندما كان جنوب هايتي في قبضة ألكساندر بيتيون، يُعتبر صاحب دور طليعي في مجال التعليم، بما في ذلك التعليم العالي، وفي ميدان الفنون والمهن.

وأقرت كل الدساتير التي صدرت بين عامي ١٨٤٣ و١٩٨٧ بأنه يحق لكل طفل هايتي، بصرف النظر عن جنسه، في أن ينتفع بالتعليم الأساسي «المجاني والمشترك بين جميع المواطنين»، واعتبرت أن هذا الحق بمثابة أولوية وواجب وطني. بيد أن هايتي عجزت عن بناء نظام تعليمي موجه صوب القيم الجوهرية المرسخة في اتفاقية حقوق الطفل، والحاجة إلى إعادة بناء النظام التعليمي كانت قائمة قبل ١٢ كانون الثاني/يناير بكثير.

وبدلاً من تعليم احترام حقوق الإنسان والحريات الأساسية، ولّدت المدرسة الهايتية مجتمعاً قائماً على عدم المساواة والظلم، ومجتمعاً يضم أفراداً مجردين من الحس الوطني، يتعاملون مع بعضهم بعضاً على أساس الازدراء وتهميش الآخر والتقليل من شأنه. ولم ينجح نظامنا في استئصال مخلفات حقبة الاستعمار.

وها قد أصبحنا اليوم أمام بلد يقبع في مؤخرة الركب، ويغرق أكثر فأكثر كل يوم في شراك الفقر والأمية.

الوضع الراهن: مأساة حقيقية

توجد في هايتي مدرسة عليا واحدة للمعلمين، وبضع مدارس متخصصة في هذا المجال، ومركز تدريب واحد في مجال التعليم الابتدائي. وتوفر هذه المؤسسات تدريباً أولياً ومتواصلاً لجميع موظفي النظام التعليمي. وتضم البلاد ٦٠ ألف معلم لا يتمتع سوى ١٠،٦٤٪ منهم بالمؤهلات اللازمة على مستوى التعليم الابتدائي. ويتم توظيف مهنيين عاملين في قطاعات أخرى لمزاولة مهنة التعليم، من دون إخضاعهم لأي تدريب مسبق في مجال التربية. والأسوأ من ذلك هو أن بعض المعلمين لم يتموا أي دراسات عليا على الإطلاق. وحتى عندما يتمتع هؤلاء بالمؤهلات اللازمة، فإنه يتعذر عليهم تقديم أداء جيد عندما يُطلب منهم توفير حصص دراسية لأكثر من ٤٠ ساعة في الأسبوع.

وتجدر الإشارة إلى أن المرافق المدرسية التي توجد في حالة صون سيئة أو التي بُنيت خارج إطار المعايير المعتمدة تؤثر هي أيضاً على جودة التعليم.

وفيما يخص الانتفاع بالتعليم الابتدائي، لا يمكن أن نتحدث عن مجانية الخدمات التعليمية بما أن ٨٢٪ من المؤسسات تنتمي إلى القطاع الخاص (وفقاً للإحصاء المدرسي لعام ٢٠٠٣).

أما التعليم الثانوي، فهو ينتظر عملية الإصلاح منذ عام ١٩٨٠، ولم تُجرَ حتى الآن أي دراسة جديرة بالذكر عن هذا الموضوع. كما أن مشروع إصلاح التعليم العالي بوجه عام، وجامعة هايتي الحكومية بوجه خاص، لا يزال معلقاً منذ عام ١٩٩٧. ونادراً ما تصدر البحوث والمنشورات، باستثناء الأطروحات التي يعدها الطلبة.

لكن كيف وصلنا إلى هنا؟ لا شك في أن عدم توافر رؤية تعليمية هو السبب الجوهري وراء الوضع الراهن. فالدولة التي لطالما تحكمت بها أقلية رجعية في البلاد، والتي لطالما افتقرت إلى طموحات كبيرة، لا تكرس سوى القليل من الموارد إلى قطاع التعليم. ويُضاف إلى ذلك مشكلة خطيرة مرتبطة بالإدارة والفساد. وتعجز وزارة التربية عن السيطرة فعلياً على النظام التعليمي، كما أن بعض المشاريع لا تؤدي إلى أي من النتائج المرجوة منها.

وينجم عن عدم الاستقرار السياسي أيضاً آثار سلبية على تقدّم قطاع التعليم. ولا تتمتع الوزارات سوى بالقليل من الوقت لتصميم وإعداد وتنفيذ سياسة وطنية للتعليم على النحو السليم. وخلال السنوات المائة والاثنتين والستين الأخيرة، تعاقبت في هايتي ٢١٦ وزارة تربية، أي أن متوسط فترة العمل لكل من موظفي هذه الوزارات بلغ ٩،٤ شهر. ويتأتى عن هذا الوضع انعدام شبه تام لعامل الاستمرارية في قطاع التعليم.

خيار إيديولوجي جديد

كيف يمكننا إعادة بناء النظام التعليمي لكي نخرج من معادلة نفس الأسباب لنفس النتائج؟ إننا نحتاج، بصورة رئيسية، إلى خيار إيديولوجي جديد يُعتبر التعليم في إطاره نقطة عبور ضرورية صوب مجتمع منفتح. ويتعين علينا وضع آليات إدارية وإصلاح نظام التفتيش على سبيل المثال، من دون التقيد بأي اعتبارات سياسية حزبية وأي حسابات انتخابية ضيقة. وينبغي لنا القيام بكل الخطوات اللازمة ليحترم المواطنون، من دون تحيز، كل التدابير التي اتخذتها الدولة الهايتية لإعداد نظام تعليمي وطني. وسيتوجب علينا أيضاً إعادة النظر في المناهج الدراسية القائمة على أساس احتياجات البلاد من حيث العمل المجدي، والمشاغل البيئية، وقيم المواطنة، مع ضرورة توفير الوسائل اللازمة لتحقيق إصلاح التعليم العالي. ومن الملح البدء بإنشاء النظم الأساسية المناسبة وإعداد خطط مهنية تمكّن المعلمين من كسب رزقهم بكرامة.

وينبغي بالتالي أن تيسر عملية إعادة بناء النظام التعليمي الهايتي إعداد مواطنين منتجين قادرين على تحسين وضع هايتي بصورة متواصلة، وتوليد الثروات المادية، والمساهمة في النهوض بالقيم الثقافية والأخلاقية والروحية للبلاد. ويجب أن يكون النظام التعليمي الجديد قادراً على تنمية الحس الوطني وحس المسؤوليات، وروح العيش المشترك، عن طريق دمج معطيات الواقع الهايتي في مناهجه الدراسية ■ .

© ليا غوردون

مشهد من كارنفال كارمل.

طفل يتوق للذهاب إلى المدرسة في حيّ «بيل إير» الشعبي. بور أو برانس، ١٩٨٢.

© اليونسكو / أندرو ويلر

جان كولانج هو الأمين العام للجنة هايتي الوطنية لليونسكو. وتجدر الإشارة إلى أن اللجان الوطنية، التي تمثل هيئات للتشاور والاتصال والمعلومات، تحشد الشراكات مع المجتمع المدني وتنسق بينها، مساهمةً بذلك في تحقيق أهداف اليونسكو.
إن هايتي من أقدم الدول الأعضاء في اليونسكو، إذ أنها انضمت إلى المنظمة في ١٨ تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٤٦.

اليونسكو في الميدان

مشروع تدريب يُسهم في إعادة البناء

إن فن البناء باستخدام أساليب مضادة للهزات الأرضية إنما يمثل أساس مشروع النموذجي تدريب عمال النجارة الذي انطلق، بدعم من اليونسكو في آذار/مارس ٢٠١٠، في مدينة كامب بيرين الواقعة جنوب غرب هايتي. سيتم تدريب نحو ٥٠٠ من عمال النجارة على التقنيات التي من شأنها إنقاذ أرواح الكثيرين في حالة وقوع زلزال.

ينشط جان سبريمو في عمله، وهو **ممسك بمجرفة مستديرة** يحركها بكل قواه؛ وخلال عدة دقائق، تتكون حفرة من أسمنت ومياه في فناء تملأه مناخل وقوالب تقوية الجدران. ثم يشير إلى الطينة الضاربة إلى اللون الرمادي، ويصرح بالكريولية ـ لمجموعة من عمال النجارة من مواطني هاييتي يبلغ عددهم نحو ١٥ جاؤوا للاشتراك في حلقة تدريبية في مجال استخدام الأساليب المضادة للهزات الأرضية ـ قائلاً: «إنها لخرسانة جيدة النوعية. فهي تحتوي على قدر مناسب من المياه، وتم خلطها بطريقة متقنة».

إن سبريمو ليس مُدرباً كغيره من المُدربين. فهو يعمل كمسؤول عن مشاريع جاء من بلجيكا واتخذ من هايتي موطناً له منذ ٤٤ عاماً. وقد كان متواجداً في بورت أو برانس في ١٢ كانون الثاني/ يناير الماضي، ورأى بعينه انهيار عمارات بأكملها في عدة ثوان جرّاء الزلزال الذي ضرب هذه المدينة. وقد صرح بعد ذلك، بكلمات ملؤها الأسى، قائلاً «إن هذه المدينة أنشئت بطريقة جدّ عشوائية، وهاهي النتيجة المأساوية الناجمة عن ذلك». وتابع: «إن الإنشاءات سريعة الانهيار هي التي أودت بحياة كثير من الناس. فقد كانت كميات المياه الكبيرة واحتواء الخرسانة على صلصال وطمْي من العوامل التي أفضت إلى انهيار أكثر من ٥٠ من المباني في بور أو برانس بفعل الهزة الأرضية».

أنشأت الورشة ـ المدرسة في كامب بيرين، الواقعة بالقرب من مدينة كايس جنوب غرب هايتي، بمشاركة اليونسكو، حلقة تدريبية مكثفة مدتها عشرة أيام لعمال النجارة والحدادين ورؤساء العمال من مواطني هذا البلد، وذلك لمحاولة وضْع حدّ لسوء إنشاء المباني الذي أفضى إلى ازدياد ضخامة الكارثة الناجمة عن الزلزال.

© صور الأمم المتحدة/ سوفيا باريس

«الدورة التدريبية لا بأس بها، حتى ولو كان صعبا تعليم البناء المضاد للزلازل خلال عشرة أيام» يقول هيبرت دو مونتاما، المسؤول عن ورشة التدريب هذه.

أما ميشيل راؤول البالغ من العمر ٤٠ سنة، والذي يرتدي قبعة مدورة مثبتة بإحكام على رأسه، فإنه يقول: «من الممكن لنا، نحن الذين واتتنا فرصة متابعة دورة التدريب هذه، ألاّ نرتكب الأخطاء نفسها التي ارتكبت فيما مضى». ويضيف بعد أن تردد عدة ثوان :»غير أن المشكلة غالبا ما تعود إلى سلوك مُلاك العقارات الذين يطلبون منا أن «نحميهم إن تعلق الأمر بالأسمنت»، وهو ما يعني أن نقتصد في استخدام هذه المادة. والواقع أن ذلك السلوك يفضي بهم إلى الموت، بدلاً من أن يحميهم».

لهذا السبب يقول هيبيرت دو مونتوما: «علينا أن نجعل عاملي البناء يعون بأنهم مطالبون عندما يتواجدون في ورشة بناء بأن يقوموا بعملهم بحرفية ووعي أخلاقي بالإضافية إلى تقنيات البناء التي يتعلمونها».

وعمّا قريب، ستبدأ الحلقة التدريبية المخصصة للدفعة الثالثة من عمال النجارة (يتراوح عدد المشاركين في كل دورة بين عشرة و١٥ شخصا). في النهاية، سيتم تدريب نحو ٥٠٠ من عمال النجارة على التقنيات التي من شأنها إنقاذ أرواح الكثيرين في حالة وقوع زلزال. ويتم تشجيع أفضل المشاركين في كل دفعة على العمل كمدربين، وذلك من أجل زيادة أعداد الأشخاص المدرَبين وتوسيع نطاق نقل المعارف المتعلقة بهذا المجال.

سيصدر، عقب حلقة التدريب، كتاب بالفرنسية والكريولية يحوي بيانات معززة بالعديد من المخططات، ويُوزّع على المهنيين في مجال البناء في هايتي.

رفع الأنقاض في حيّ كارفور-فيّي في بور أو برانس.

منهج مدرسي للطوارئ

بدأت مدارس بورت–أو–بْرَنس تفتح أبوابها من جديد، بعد انقطاع التعليم ثلاثة أشهر تقريبا إثر الزلزال الذي ضرب البلاد في ١٢ كانون الثاني/ يناير الماضي. ولكن استعيض عن الدروس العادية بمناهج خاصة وضعتها اليونسكو ووزارة التربية والتعليم في هايتي تأخذ في الاعتبار الصدمة النفسية والاضطرابات التي يعاني منها كل من الأطفال والمدرسين.

قتل الزلزال نحو ٣٨ ٠٠٠ تلميذ وطالب، و ١٣٠٠ معلم وعامل في إطار التعليم. ودمّر وزارة التربية ، و٤ ٠٠٠ مدرسة أي نحو ٨٠٪ من المنشآت التعليمية في منطقة بورت–أو–بْرَنس

فقد تم تنظيم حلقة تدارس يومي ٢٥ و٢٦ آذار/ مارس، تعني نحو ٦٠٠٠٠٠ تلميذ في قطاعي التعليم العام والخاص. وأوضح على هذا الصعيد، جاكسون ابْليتو، مدير التعليم الثانوي في الوزارة: «هدفت حلقة التدارس إلى تهيئة جديدة للمناهج بغية التركيز أكثر على الأهداف الأساسية. ولهذا الغرض حددنا سويّة ركيزة من المعارف التي يُفترَض في الأطفال أن يهضموها قبل الانتقال من صف إلى آخر. ونفكّر في إدخال أجزاء من المواد التعليمية في الصفوف التي سينتقلون إليها السنة القادمة».

وينصح برنامج الوزارة الجديد باعتماد عدد من المراحل في استئناف التدريس. وذلك أن يبدأ التلاميذ بأنشطة «نفسية اجتماعية» (كالغناء والرقص على وجه الخصوص)، ثم يتلقّون التعليم المتعلق بظاهرة الزلازل، ثم تُكرّس الأسابيع التالية للدروس العادية. وتتخذ الوزارة الترتيبات اللازمة لمنهاج مكثّف يُعطى في غضون ١٨ أسبوعا من أجل إقرار صلاح السنة الدراسية التي ستنتهي في شهر آب/أغسطس. ثم إن هذا المنهاج المكيّف ستضعه اليونسكو على الخط، لكي يكون متيسّرا لجميع المعلمين في هايتي.

غير أن عددا قليلا من المدارس باتت قادرة على فتح أبوابها، حتى الآن، وعددا قليلا جدا من التلاميذ عاد إلى المدرسة.

لا تزال آثار البنيان المهدم موجودة في كل مكان حيث

أنشطة ترفيهية للتغلب على الصدمة.

© صور الأمم المتحدة/سوفيا باريس

شيّدت الخيام لتحل محل صفوف المدرسة لاستقبال التلاميذ بسلام. وهذا هو حال المدرسة المختلطة، ترِيز-روشون، في حيّ تورجو. وسط الأنقاض يميّز المشاهد مقاعد خشبية، وأوراق امتحان، ولوحا أسود لا يزال يحمل كتابة آخر درس في البلاغة أعطي قبل وقوع المأساة ببضع ساعات.

ولقيت مصيرا مماثلا مؤسسة سانت-ماري-ديزانج الواقعة في حي أنيق. فمبنى مدرسة الصبيان انهار بالكامل؛ أما المبنى القديم المشيّد بالآجر الذي كان يؤوي مدرسة البنات، فهو غير صالح للاستعمال بسبب التصدعات والثقوب الكبيرة الظاهرة في الواجهة.

ولكي يكون بالإمكان استقبال التلاميذ في أول يوم من أيام العودة، أنشأ المدير، القسيس فرانك بتي، عنبرا كبيرا، وزّع تحته الصفوف، يفصل بينها ألواح خشبية. ومع ذلك لم تكن العودة إلى المدرسة دون مصاعب، كما يعترف المدير: «لقد اختلفت ردود أفعال الأطفال: فالبعض كانوا يبكون رافضين الدخول خوفا من الموت تحت السقوف الإسمنتية؛ فلزم أن نشرح لهم برفق وأناة أن الصفوف أصبحت من خشب. وبينما كنا نرفع العلم صباح هذا اليوم، كان عدد منهم يبكي، ربما وفاة أحد الأقارب، أم أو أخت، لا ندري. إن الموقف صعب جدا على التلاميذ والمعلمين معا.»

وفي الحصيلة الشاملة لكل هايتي، قتل الزلزال نحو ٣٨ ٠٠٠ تلميذ وطالب، و ١ ٣٠٠ معلم وعامل في إطار التعليم. ودمّـر وزارة التربيـة ، و٤ ٠٠٠ مدرسة أي نحو ٨٠٪ من المنشآت التعليمية في منطقة بورت-أو-بْرَنس.

الدعم النفسي الاجتماعي

تخطي الصدمة التي أحدثها الزلزال والسعي إلى إعادة الثقة بالمستقبل: إنه هدف الدورة التي تم تنظيمها لمدة ثلاثة أيام في أواخر نيسان/أبريل ٢٠١٠ تحت رعاية وزارة التربية الوطنية في هايتي واليونسكو لتدريب موظفي التعليم الثانوي في هايتي. وسيتولى هؤلاء إعداد المعلمين في التعليم الأساسي ليتمكنوا بدورهم من مساعدة التلامذة.

ويهدف هذا النوع من الدعم المعروف بـ«النفسي والاجتماعي» إلى تفادي الآثار النفسية الناجمة عن الكوارث أو الأحداث العنيفة ومعالجتها. ويرتكز هذا المفهوم إلى تقنيات التوجيه وألعاب الأدوار والتبادلات بين التلامذة والمعلمين.

التحق بالدورة حوالي أربعين مفتشاً ومديرِ مدرسة ومعلما. وتضمنت الدورة التدريبية أيضا أنشطة تعليمية بشأن ظواهر الزلازل، وتجنب الأخطار، وأساليب الصمود.

وتم تقديم هذا التدريب الذي وفرته اليونسكو بمساهمة جامعة كيسكويا في بورت-أو-برانس. ويمثل هذا النشاط التدريب النفسي والاجتماعي الأول الذي يُوجه إلى شباب التعليم الثانوي في الجزيرة.

وفي نهاية المطاف، سيستفيد مجمل تلامذة التعليم الثانوي في غرب هايتي، أي ما يقارب ١١٠ آلاف مراهق، من برنامج الدعم ومن المتوقع أن يشمل التدريب مجمل الأراضي الهايتية على المدى الطويل.

اليونسكو في الميدان

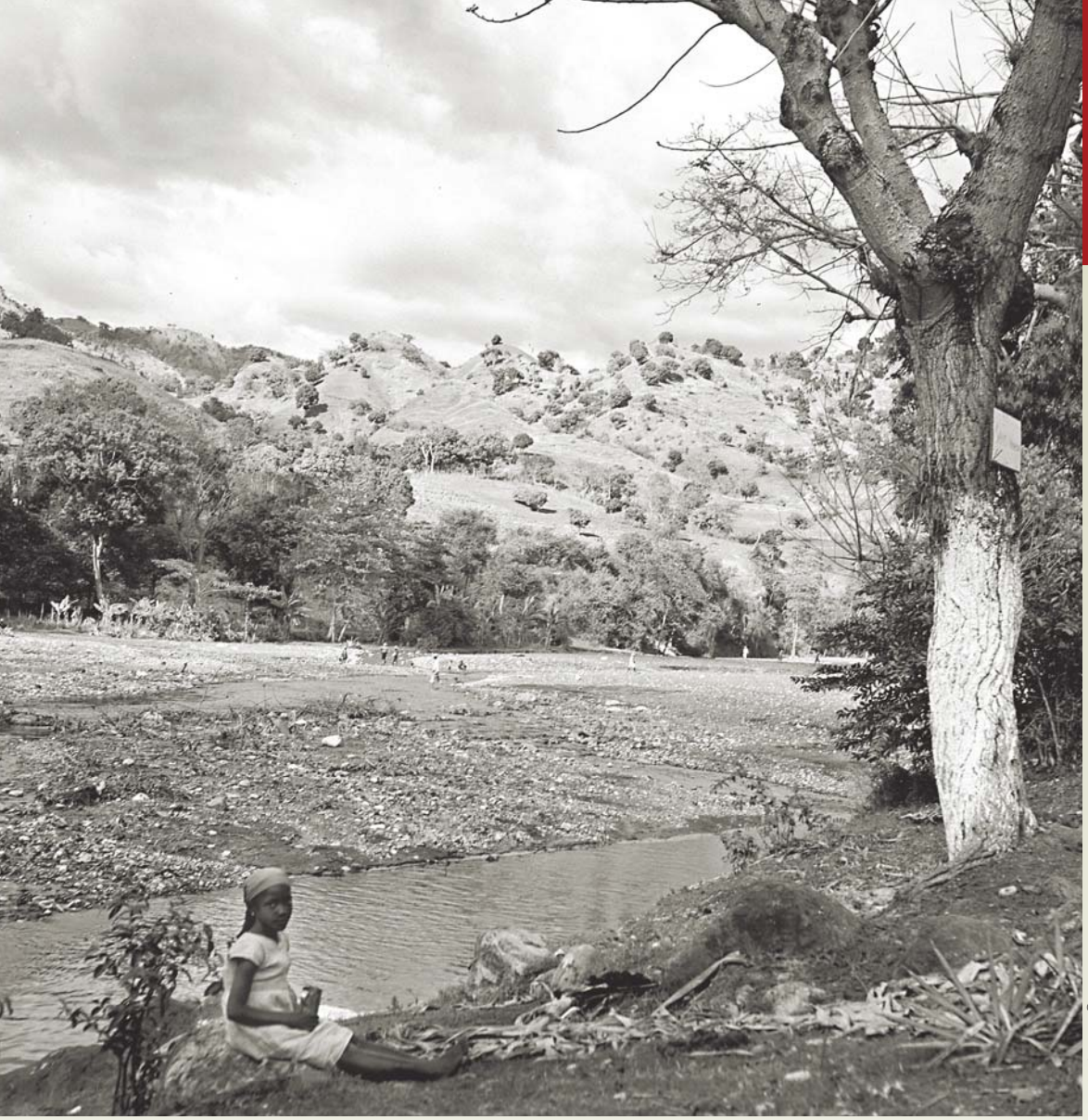

© صور الأمم المتحدة

أول مشروع رائد للتعليم الأساسي لليونسكو تم تنفيذه في منطقة ماربيال الريفية الواقعة في وادي غوسّلين، بجنوب البلاد. ©

كيبي لينيسكو فو

بقلم **جوليا بوهلي** *نقلاً عن محفوظات اليونسكو*

كانت هايتي من بين أولى الدول التي انضمت إلى عضوية اليونسكو، وذلك في ١٨ تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٤٦. وبعد ذلك بقليل، شرعت المنظمة في تنفيذ أول مشروع رائد للتعليم الأساسي في هذا البلد يرمي إلى الحدّ من الأمية. وكاد هذا المشروع أن يُهمل. غير أن السكان المحليين حرصوا على إنقاذه.

عندما انضمت هايتي إلى عضوية اليونسكو - وهي من أولى الدول التي قامت بذلك - كانت نسبة الأمية في هذا البلد تتجاوز ٨٠٪، بل وزادت في بعض المناطق بنسبة ٩٠٪. ويدل ذلك على أن سكان البلاد آنذاك لم يكن في مقدورهم معرفة القراءة والكتابة فحسب، وإنما كانوا يجهلون أيضاً أبسط المبادئ الأساسية العلمية المتعلقة بمجال الزراعة وصون الموارد وإتباع قواعد النظافة الصحية. وقد اقترح جان دومارسيه إيستيميه، رئيس الجمهورية حينذاك، أن تساعد اليونسكو هايتي على زيادة مستوى تعليم

SUPPLEMENT

UNESCO

LE COURRIER

PUBLICATION DE L'ORGANISATION DES NATIONS UNIES POUR L'EDUCATION, LA SCIENCE ET LA CULTURE

JUIN 1948

Volume II. — No 5.

Une vallée qui renaît

Voici comment les paysans de Marbial ont contribué au succès de l'expérience d'Haïti

مقالة عن المشروع الرائد للتعليم الأساسي في منطقة ماربيال، منشورة في رسالة اليونسكو، حزيران/ يونيو ١٩٤٩.

منظر من سوق في منطقة ماربيال

سكانها. وكان جوليان هكسلي، أول مدير عام لليونسكو، قد صرح بأن الانتفاع بالتعليم الأساسي هو شرط ضروري من أجل «توسيع نطاق التفاهم وتعميقه بين البشر، وذلك هو ما تعمل اليونسكو على تحقيقه». وحظي اقتراح رئيس الجمهورية بالقبول، ثم استهلت اليونسكو، ابتداءً من عام ١٩٤٧، «تجربة رائدة» في مجال التعليم الأساسي كانت الأولى من نوعها.

وفي نيسان/ أبريل ١٩٤٨، أرسلت اليونسكو إلى هايتي فريقاً بحثياً بقيادة عالم الأنثروبولوجيا ألفريد ميترو، وهو من أصل سويسري. واختارت حكومة هايتي موقعاً لتنفيذ المشروع الرائد الجديد في منطقة ماربيال الريفية، الواقعة في وادي غوسِّيلين بجنوب البلاد. وقُدِّر عدد سكان هذا الوادي آنذاك بنحو ٣٠٠٠٠ نسمة، يعيشون في أكواخ مقامة على منحدر الجبل. وقد اكتشف هذا الفريق ظروفاً معيشية غير إنسانية: فالوادي مكتظ بالسكان، ويعيش الفلاحون، وكلهم أميون، بصعوبة بالغة، على محاصيل قليلة تُزرع في أراضٍ تجوفت بفعل عوامل التعرية؛ كما أنهم يتعرضون للأمراض الاستوائية، وفي مقدمتها الملاريا. وبسبب الأمراض وضرورة الوصول إلى المدرسة مشياً على الأقدام لمسافة تستغرق ساعتين، فإن أقل من ٥٠٠ تلميذ مسجلون في المدارس الثلاث الموجودة في الوادي، لا يذهبون بصفة منتظمة إلى هذه المدارس سوى نصف هذا العدد.

وتضاف إلى ذلك الحواجز اللغوية المُعوِّقة. فاللغة الرسمية هي الفرنسية، ولكن سكان ماربيال لا

يتكلمون سوى اللغة الكريولية. بيد أنه لا توجد كتب مدرسية باللغة الكريولية التي تُكتب بأربعة كتابات مختلفة. ويستخدم المعلمون كتباً لتدريس الفرنسية تم تصميمها منذ ٥٠ سنة خلتْ؛ كما أنهم يجبرون التلاميذ على استذكار مقاطع من هذه الكتب دون أن يكون في استطاعتهم فهمها حقيقةً. ومن أجل معالجة هذه الأوضاع اللغوية المتباينة، لجأت اليونسكو إلى روبيرت هول، وهو أستاذ وباحث أمريكي متخصص في اللغة الكريولية. فقام هذا الأخير، بمجرد وصوله إلى هايتي، بوضع نظام أبجدي يتيح تصميم كتب للقراءة باللغة الكريولية.

أما ألفريد ميترو فقد عاد إلى اليونسكو وهو متشائم تشاؤماً عميقاً بالنسبة إلى مستقبل المشروع المذكور، وذلك بعد أن فترت همته بسبب ما رآه من مظاهر البؤس وشقاء المعيشة التي يعاني منها الفلاحون في وادى ماربيال. ولكن، عندما رأى فريدريك ريكس ـ الخبير الأمريكي في مجال التعليم الأساسي الذي ذهب إلى المنطقة بعد مرور عدة أشهر ـ أن من غير الممكن تنفيذ هذا المشروع وأوصى اليونسكو بالتخلي عنه، احتج ميترو على هذا الرأي. وبعث إلى اليونسكو برسالة جاء فيها:»لا يمكننا التخلي عن هايتي [...] وإذا ما تركنا هؤلاء البؤساء لمصيرهم، فإننا سنحرمهم من جميع قواهم [...] وسوف تتلاشى النتائج التي حصلنا عليها في مجال التعليم. وسيكون ذلك بمثابة الطامة الكبرى [...] إن التجربة الرائدة التي أطلقتها اليونسكو تستحق أن نكرس لها كل ما أوتينا من قوة».

وما أن علم الفلاحون في ماربيال أنهم قد يُتركون وحدهم، قاموا هم أيضاً بحشد قواهم. فشمَّروا سواعدهم، ملوحين برايات كُتب عليها :» كيبي لينيسكو فو» ـ أي ما معناه «ادعموا اليونسكو بكل ما أوتيتم من قوة». وفي غضون عدة أشهر، قاموا، من خلال تعاونيات ضمتهم بتوسيع الطريق المؤدي إلى القرية الوحيدة، وأنشأوا «مركز اليونسكو» ومركزاً مجتمعياً من أجل كسر عزلتهم. ثم إنهم حفروا مراحيض وبئراً لمياه الشرب، وذلك للقضاء على أحد أسباب الإصابة بأشد الأمراض خطورة. وبالإضافة إلى ذلك، تمت إعادة بناء سوق ماربيال على أرض أكثر ارتفاعاً وجفافاً وأُلحق به مجزر بالهواء الطلق.

وفي مجال التعليم، شهدت السنوات الأولى تقدماً ملحوظاً: فقد أقيم نظام أغذية طارئ للتلاميذ، يتيح توفير وجبات غذاء لـ ٤٠٠ تلميذ كل أسبوع. وفي أيلول/ سبتمبر ١٩٤٨، توافر للوادي عشرة مراكز للتعليم، حيث يستطيع الشباب والكبار تعلم القراءة والكتابة باللغة الكريولية. وبعد ذلك بقليل، صدرت جريدة محلية تضم صفحتين، ومكتوبة كلها باليد، وتزينها رسومات بسيطة، وذلك بمبادرة من أعضاء التعاونيات.

وعلى الرغم من جميع هذه الجهود التي بذلها السكان، فإن اليونسكو واجهت تحدياً كبيراً تمثل في ضرورة الارتقاء بالمستوى الاجتماعي والاقتصادي للمجتمع المحلي، مع توفير التعليم فيه، وإعداد معلمين وأطراف معنية في هايتي لضمان تعزيز القدرات الذاتية على الاستدامة في المشروع بقدر الإمكان. وقد اتضح أن أي تقدم يتم إحرازه في الوادي هو رهن بتحسين مجال الزراعة. وعليه، طلب كونراد ج. أوبِّير، الذي عُين مديراً للمشروع في عام ١٩٥٠، من منظمة الأمم المتحدة للأغذية والزراعة أن تشارك اليونسكو في تنفيذه. وفي هذا الصدد، قال أوبِّير:»ما من أدنى شك في أن أي برنامج للتعليم الشعبي في وادي ماربيال لا يستند إلى إعادة تطوير التربة الزراعية سيكون برنامجاً لا أساس له على أرض الواقع، ومآله الفشل». وبالإضافة إلى ذلك، انضمت منظمة الصحة العالمية إلى المشروع وأرسلت طبيباً وممرضة. كما أن هذه المنظمة ساهمت في إنشاء عيادة أصبحت فيما بعد أول مُستوصف يُقام في الوادي.

وخلال كل هذا التقدم المحرز الذي لم يكن دائماً لافتاً للنظر رغم أنه اتسم بالواقعية والاستمرارية، فإن كونراد ج. أوبِّير وأعضاء الفريق الذي يديره أخذوا على أنفسهم البقاء في المؤخرة حتى يتيحوا للفلاحين أن يتولوا تنفيذ المشروع المُصمَّم من أجل مساعدتهم. وقد أحرزت هذه السياسة نجاحاً بحيث أنه في آب/ أغسطس ١٩٥٠ قام سكان ماربيال بتشكيل لجنة إقليمية من الأعيان يقع على عاتقها تقديم المشورة لموظفي اليونسكو. وضمت هذه التجربة وكالات عديدة تابعة للأمم المتحدة في مجهود جماعي يرمي إلى مساعدة الفلاحين في ماربيال على أن يحيى حياة أفضل؛ ولكن نجاح هذه التجربة يعود، أولاً وقبل أي شيء آخر، إلى الشعب الهاييتي ذاته. ■

تعمل **جوليا بوهلي** في محفوظات اليونسكو
www.unesco.org/archives/fre/index.html

إن المشروع الرائد في وادي ماربيال لا يعدو أن يكون مثلاً من بين أمثلة أخرى على الأنشطة التي تنفذها اليونسكو في مجال التربية والعلم والثقافة والاتصال. ويتسم التصور الأصلي للمشروع والدعم الذي تقدمه اليونسكو في مطلع القرن الحادي والعشرين بطابع استمراري واضح. ويمكن الرجوع إلى محفوظات اليونسكو للاطلاع على الوثائق والمطبوعات والرسائل المتبادلة أثناء تنفيذ المشروع في وادي ماربيال، وكذلك على كل ما يخص عمل اليونسكو في هاييتي.

j.boel@unesco.org

محفوظات
اليونسكو

© اليونسكو/ باتريك مورين

© اليونسكو / ميشال رافسار

رينيه ديبستر، في اليونسكو، في عام ٢٠٠٦، بمناسبة الاحتفال بالذكرى السنوية الخمسين لانعقاد المؤتمر الدولي الأول للكتاب والفنانين السود في باريس.

رينيه ديبستر: بين الخيال والواقع

في المقابلة المنشورة في «رسالة اليونسكو»، في عددها الصادر في كانون الأول/ ديسمبر ١٩٩٧، يستعرض الكاتب الفرنسي ـ الهايتي رينيه ديبستر مسيرته، وذلك في معرض إجابته عن الأسئلة التي وجهتها إليه ياسمينه سوبوفا. ويؤكد ديبستر من جديد في هذه المقابلة رفضه لكل شكل من أشكال الإيديولوجية الشمولية، وتَمسُّكه بمواطنة عالمية تستند إلى التضامن والاحترام المتبادل.

لقد بدأت حياتك كشاب وشاعر واضعاً نُصْب عينيك ما سوف تطلق عليه فيما بعد اسم «العقيدة الرافضة المثلثة الأبعاد»، وهي:»الزُنوجة» المُعتزَّة بذاتها، والسريالية المُحتدمة، وفكرة الثورة. واليوم، لم يبق من هذه الأبعاد سوى « البُعد السريالي».

إنها قصة طويلة. ففي عام ١٩٤٥، جاء أندريه بريتون إلى هاييتي. وتصادف أن زيارته تزامنت مع تنظيم معرض للرسام ويفريدو لام، إضافة إلى سلسلة من المحاضرات ألقاها إيميه سيزير، الأمر الذي كان من شأنه آنذاك إثارة مخيلة الشباب المبدعين في هاييتي. وفي ذلك الوقت، لم يكن لنا علم بتطورات الحركة السريالية في فرنسا. أما الشباب الثائر ضد النظام الديكتاتوري الرهيب الذي أقامه ايلي ليسكوت، فإنهم كانوا يرون أن السريالية تجسد روح التمرد. وبدت الاتصالات مع بريتون بمثابة «ناقلة العَدْوى». وبعد المحاضرة الأولى التي ألقاها في أحد دور السينما في بور أو برانس، نشرت جريدة «لا ريش»، التي أسسناها قبل ذلك بوقت قصير، عدداً خاصاً تقديراً لبريتون. وقد أفضى ذلك إلى دخولنا السجن ومنع الجريدة من الصدور.

إن ما رآه بريتون في هاييتي، وجعلنا نشاركه في هذه الرؤية، هو أن السريالية لم تكن مذهباً جمالياً فحسب، وإنما تمثلت أيضاً في كونها عنصراً من عناصر التصورات التخيلية للشعوب؛ كما أن هناك سريالية شعبية. وقد أعاد ذلك ثقتنا بأنفسنا. وقد رأينا أن الإحساس بما هو خارق للطبيعة، الذي كنا نخجل بعض الشيء عن التعبير عنه صراحة، والذي كنا نُقرنه بشكل من أشكال التخلف، كان، على العكس من ذلك، سلاحاً ندافع به عن هويتنا. وقد قال لنا بريتون:»إننا أطلقنا السريالية كحركة تستند إلى مفاهيم فكرية؛ في حين أنكم في هايتي قد تلقيتموها أثناء الطفولة». وبعبارة أخرى، فإن السريالية هي طبيعة متأصلة في العالم الكاريبي. كما أن الديانة الودّونية، وهي مذهب تلفيقي فرنسي أفريقي، تُعتبر نموذجاً للسريالية الدينية. فسلوك آلهة الودّونية هو سلوك سريالي إلى أبعد درجة.

إن السريالية في نظرك هي إذن أكثر من مجرد حركة أدبية.

إنها بالفعل أبعد من ذلك بكثير. فقد اتّبع كُتاب أوروبيون كثيرون، ابتداءً من الرومانسية

الألمانية، وحتى قبل ذلك، طرائق سريالية. وإني مقتنع تماماً بأنه إذا ما أمعنا النظر إلى الثقافات المصرية واليابانية والصينية، فسنجد أنها تنطوي على جوانب سريالية. والرأي عندي أن السريالية هي طريقة لإدماج ما هو خارق للطبيعة في حياتنا اليومية. إنها إذن الوجود في كل موجود. غير أن بعض الشعوب، كالهاييتيين والبرازيليين، تُقْدم على التعبير عن ميولها السريالية بدرجة أكبر من شعوب أخرى.

كيف تفسر لنا ظهور حُكم أسرة دوفالييه في مجتمع يسوده الاعتقاد بما هو خارق للطبيعة؟

إن ما هو خارق للطبيعة شمل كل جانبٍ من جوانب الحياة في هاييتي، بل إنه أثّر أيضاً على الممارسات السياسية. فتاريخ هاييتي يكشف عن سلوكيات مارسها حكام مستبدون تُعتبر بمثابة انحراف عن ما هو خارق للطبيعة. وهو انحراف مأساوي. فقد تحول مفهوم «التونتون ماكوت»، وهو مفهوم فلكلوري يُجسد الشر، يميز أعضاء الشرطة السرية، التي تأسست على غرار جهاز الأمن في النظام النازي في ألمانيا، إلى حقيقة واقعية. ويتذبذب الفلكلور الهاييتي بين قوى الخير وقوى الشر. أما دوفالييه (الأب)، المعروف باسم «بابا دوك»، فقد لجأ إلى استخدام أساليب السحر الأسود ليُدخل البلاد كلها في نظام سريالي شمولي.

ومع ذلك، فإن هناك أموراً أخرى غير هذا الجانب الشيطاني. فمنذ صباح يوم في كانون الأول/ ديسمبر ١٤٩٢، حينما افتتن كريستوف كولومبوس باكتشاف الجزيرة، لم يعد من الممكن فصْل المغامرة التاريخية الباروكية لهاييتي عن الواقع الأمريكي المثير للافتتان. فقد أضحى الإحساس بما هو خارق للطبيعة (أو ما يُسمى الواقعية السحرية لأمريكا الجنوبية) عنصراً مُكوناً للرؤية الهاييتية للعالم ولما يستند إليه أساساً هذا البلد الواقع في ثلث جزيرة «إسبانيولا»، حيث يوجد الأفضل والأسوأ جنباً إلى جنب في وئام يثير العجب، إنْ لم يتصادما في صراع مرير.

لقد مجدّت في قصائدك الرؤية الخيالية للشيوعية.

لقد تأثرت بالفعل في أعمالي الأدبية والشعرية بالرؤية الخيالية للماركسية وكل ما تنطوي عليه من أكاذيب وأساليب مروعة وقمعية، وذلك حتى قررت القطيعة مع النظرية الستالينية. ولما كنت قد عشت في أماكن اكتسبت قيمة «إستراتيجية» على جانب كبير من الأهمية أثناء الاضطرابات التي عصفت بالقرن الماضي (موسكو، براغ، بيجين، هانوي، هافانا)، فإني أدركت أن «الثورة الاشتراكية» في هذه الأماكن لم تكن تتعارض مع النظام القمعي في هاييتي، بل إنها كانت تمثل شكلاً آخر من أشكال الانحراف المماثلة. فبدلاً من تعزيز تراث حقوق الإنسان والمواطن، نالت «الثورة» من استقلال النساء والرجال، وذلك عندما استولت، غير عابئة، وبشكل لا يُصدَّق مطلقاً، على مُثل وأحلام تاريخ الإنسانية جمعاء.

ما الذي آلت إليه «فكرة الثورة» الذي وضعتها، والذي دفعت بك إلى مغادرة هاييتي للذهاب إلى أوروبا، ثم إلى كوبا؟

لقد كان إيماني بفكرة الثورة إيماناً راسخاً. وكانت بالنسبة لي بمثابة استعداد طبيعي كالتنفس، أو المشي أو السباحة. ولكنها كادت أن تقضي تماماً على كياني كمواطن وكاتب. كما أنها أفقرت إلى حد بعيد ما كنت أتحلى به من مواهب شعرية ونزعات عاطفية كانت تجعلني، عندما كنت في العشرين من عمري، أتخيّل مستقبل أعمالي باعتبارها تعكس مشاعر الافتتان والتوحد بالعالم الذي أعيش فيه. يُضاف إلى ذلك أن فكرة الثورة كان من شأنها أن شهدت مسيرتي الأدبية تقلبات سيكولوجية وفكرية، وتحولات وجودية مفاجئة، الأمر الذي أفضى إلى خلق مزيج من عوامل الشك والتضارب اندرجت في سياق التيارات الفكرية والانفعالات المحتدمة التي اتسم بها القرن الماضي. أما فكرة جُزر الكنوز التي ابتدعتها الرؤى الخيالية للثورة وأساطيرها، فإنها تبخرت مع أحلامنا الطموحة التي راودتنا في شبابنا، والتي تمثلت في الجمع بين فكرة تغيير العالم (كارل ماركس) وبين فكرة تغيير الحياة (أرثر رامبو).

إن كلمة «خيال»، التي تُستخدم في سياق ماركسي، تأخذ دلالة تحقيرية في نظرك. هل يحتاج العالم إلى الخيال؟

وضع أوكتافيو باث تعريفاً للخيال مفاده أنه «أحلام العقل». ولكن الواقع هو أننا تخلصنا منذ قليل من كابوس عقلي فظيع. ومن الملاحظ أن القرن التاسع عشر، الذي كان عصراً حاسماً إلى أبعد حد، هو الذي أفضى مباشرة إلى قيام المفهوم الخيالي الثوري. غير أن أحلام الفلاسفة القدماء، التي لا يعترض أحد عليها البتة، لم تسفر عن إصلاحات أساسية في مجال الحياة الإنسانية، على عكس ما كان يطمح إليه هؤلاء الفلاسفة، ولا عن تقدم غير مسبوق للجنس البشري. وبالإضافة إلى ذلك، فإن طموحات الفكر النقدي النبيلة فرضت على عصرنا، تحت ما يُسمّى زيفاً «الاشتراكية الواقعية»، نظام حُكم مطلقاً لم يسبق له مثيل البتة.

هذا، ولا ينبغي أن يُفهم من كلامي أني أقلل من قيمة الرؤية الخيالية في حد ذاتها. ففي هذه المرحلة من حياتي، وقد تقدم بي العمر، وأدرك أنه لم يبق لي سوى وقت قصير، وأن عليّ ألا أتردد في الإفصاح عن أمور احتفظت بها، طوال حياتي، في قرارة نفسي، آملاً أن أتمكن من القيام بذلك بروح من التسامح والتعقل، فإني انتقد، إذا صحَّ القول، حياة الترحال التي عشتها. ومعلوم أن كل نقد ذاتي إنما يفضي إلى رؤية خيالية. ولكن، وعملاً بالمثل القائل «إن الملدوغ يخاف من جَرَّة الحَبْل»، فإن أحذر كل الحذر من مفهوم تاريخي أساءت إليه الثورات التي اندلعت في القرن الماضي. وبدلاً من مفهوم السياسات الواقعية (ريالبوليتيك) التي أدت إلى معظم ما تعرض له أفراد ومجتمعات من معاناة وشقاء، والتي ما زالت تُطبقها حكومات الدول بقدر كبير للغاية، فإني اقترح مفهوم الخيال الواقعي (ريالأوتوبيا).

أيمكنك أن تشرح لنا ما يعنيه هذا المفهوم؟

إن الخيال الواقعي، كما أحدده، هو مفهوم

© شارلز كاريه

استعراض عسكري لقوات "تونتون ماكوت" في مدينة كينسكوف، في عام ١٩٨٤.

© ليا غوردون

© ليا غوردون

صبي يشارك في كارنفال مدينة جاكمل، مسقط رأس رينيه ديبستر.

«إيزيلي دانتور»، من الأعمال الفنية لأندريه يوجين، النحّات في مجموعة نحّاتي حي «غراند رو»، بور أو برانس.

جمالي يتيح لي أن أجمع، في كل واحد، مختلف مكونات كياني الكريولي ككاتب فرنسي هاييتي. ففي علوم الطب والفسيولوجيا، فإن مفهوم التآزر يعني ارتباط عوامل كثيرة فيما بينها تؤدي وظيفة واحدة وترمي لهدف واحد. ومن ثم، فإن فكرة الخيال الواقعي (ريالأوتوبيا) تفضي بي إلى إحداث نوع من التآزر الجمالي والأدبي الذي من شأنه أن يُوجِّه نحو هدف واحد التجارب العديدة التي أدين بها للواقع الخلاب، والزُنوجة، والشهوة الجنسية الشمسية، والهذيان الحُلمي الكريولي الذي يسيطر على شعب هاييتي، ويُعتبر بمثابة سريالية المقهورين والمتضررين.

من الواضح إذن أنك لم تترك الزُنوجية بصورة لا رجوع عنها. أليس كذلك؟

لقد كنت أشكك دائماً في مفهوم الزُنوجية لأني اعتقدت أنه ليس من الممكن تكوين نظرية انثروبولوجية تعارض تماماً نظرية انثروبولوجية أخرى عملت على الحط من شأننا ووضعنا في مرتبة سفلى باعتبار أننا «زنوج». وقد رأيت أن ما ينطبق على الجنس الأسود لا يمكن أن يكون موافقاً تماماً لما يخص الجنس الأبيض. وجدير بالذكر أن سيزير نفسه استخدم تعبير «عنصرية جوبينو المعكوسة» لوصف هذه الظاهرة. كما كنت أدرك أن من الضروري تكوين مذاهب جمالية وإيديولوجية تخصنا، ولكن دون أن نقع فيما يُسمى «العنصرية المناقضة للعنصرية» (جان بول سارتر). ولهذا السبب، قطعت الصلة بالزُنوجية وبالماركسية في آن. ولم يبق لي سوى السريالية. فهي ما زالت تمثل بالنسبة لي أداة عمل. وإني متمسك تمسكاً شديداً بجانبيها الفكري والشعبي. ومع ذلك، فإني احذر أيضاً من السريالية. فقد كان بريتون يميل إلى الانغماس في المذاهب الباطنية، وإلى ربْط السريالية ببعض التقاليد القبلانية والتلمودية، أي إلى كل ما هو غامض في تاريخ الفكر، والذي ما زال يثير الاهتمام، رغم أنه يرمي، بنوع ما، إلى البحث عن حَجَرْ الفلاسفة الخرافي. وينبغي لي أن أؤكد عدم اتفاقي مع مثل هذه الآراء.

إني أدير ظهري لما اعتنقته من مُثل عليا في شبابي، وأعمل الآن على ضوء التجارب التراجيدية التي استخلصتها منها.

ما هي نظرتك إلى العالم في الوقت الحاضر؟

لقد اندثرت فكرة الثورة، ولكن التاريخ يمضي في طريقه مقترناً بما تبثه وسائل الإعلام من أحداث تثير الرعب والعجب معاً. ولقد انقضت أسطورة الثورة الكبرى، روحاً وجسداً، بانقضاء النظام السوفييتي. غير أن ذلك لم يحول دون ظهور فكرة الدولة الشمولية تحت عباءة المذاهب الأصولية الدينية. وهكذا فإن كل أشكال الممارسات البربرية العرقية الوطنية تشجع، وفقاً لمشروع يُفترَض أنه يرمي إلى تجديد مجتمع الكفّار، بروز اتجاهات ظلامية وإرهابية وممارسات سلطوية. ومن ثم فإن الغرب محاصر الآن بالخيال الأصولي الذي حل محل الخيال الثوري.

ما هو دور الأدب في حث الناس على الانخراط في نهضة جديدة؟

إن الإجابة عن هذا السؤال تعتمد على السياق الذي تسيطر عليه الفظائع التي يرتكبها الأصوليون، والمذابح المتواصلة بين الإثنيات، وأعمال العنف الوطنية والعنصرية. وهذا السياق هو سياق عالَم يخضع خضوعاً تاماً لقوانين السوق.

وبفضل الأدوات الرشيدة لحُكم القانون والديمقراطية، صمدت مؤسسة السوق لكل العواصف التي تعرضت لها. ولكن معظم الناس، في الوقت الحاضر، يرون أن ديمقراطية السوق تحتاج إلى تجديد قواعدها وطريقة أدائها. وإلا، فإن هذه الديمقراطية قد تجعل من الحياة الاجتماعية كازينو عالمياً انقلب رأساً على عقب. ومن ثم يتعين على النظام التجاري الغالب إصلاح الظروف التي تسودها الفوضى والنزاعات من جرّاء سيطرة العولمة على الشؤون الإنسانية.

وإضافة إلى ذلك، ينبغي الإقدام على إثراء التراث العالمي الخاص بالتجارب التاريخية الديمقراطية، وما تراكم من قواعد المواطنة وموهبة العيش معاً والتي نجدها في المجتمعات المدنية الوطنية الغربية الأكثر تقدماً وخبرة من حيث القانون والحرية والعدالة والتضامن. وينبغي أن يكون في مقدورنا تغيير مظاهر العولمة الحالية المضطربة، وذلك من أجل إضفاء طابع إنساني غير مسبوق على العلاقات بين الأفراد وبين الدول الأمم. ويحتاج المجتمع المدني الدولي، الذي يتشكل في ظروف من الفوضى وعدم اليقين والتخوف من المستقبل، إلى نشر ثقافة المواطنة والتضامن على الصعيد العالمي، مما يتيح تشاطر عدد من القيم الديمقراطية والمكتسبات التي تشكل الآن تراثاً مشتركاً للعالم الذي نعيش فيه.

من هم الذين يمكن لهم إذكاء ثقافة المواطنة العالمية؟

اعتقد أن مخيلة الشعراء والكتاب الجريئة هي التي يجب أن تتصدر القيم المشتركة للثقافات في العالم. وينبغي أن تساعد أعمالنا، وفقاً لطابعها الجمالي الذي يخصها تماماً، العلماء والسياسيين على إعادة توجيه فكرتنا القديمة عن الخير والشر، وتجديد فكرة ما هو مقدس التي تختفي هنا وهناك، وإعادة توازن الصلات الحضارية بين بلدان الشمال والجنوب، والغرب والشرق، وذلك في إطار نظام عالمي جديد، حيث يمكن أن تفضي القواعد الضرورية للتجارة، وقد خفّت من حدتها دلالات وقيم جديدة، إلى إحداث توازن غير مسبوق بين الطبيعة والتاريخ. ولتحقيق مزيد من الرخاء، دون التعرض لخطر الكوارث، ينبغي أن يستند أداء الأسواق المالية الآن إلى قيم أخلاقية، مثل الدلالات وقوانين المواطنة وموهبة العيش معاً، وهي قيم تقوم على الاحترام المتبادل والتعاطف بين مختلف الشعوب في العالم. ■

© اليونسكو/ أختار سومرو

شاب باكستاني أثناء عمله.

أضـــاءة

التعليم في خطر: تأثير الأزمة المالية

بقلم **سامر السامرائي**

في حين أن معظم المصارف في العالم تجاوزت، فيما يبدو، إحدى أشد الأزمات الاقتصادية حدة التي شهدها القرن الأخير، فإن العديد من أفقر بلدان العالم ما زالت ترزح تحت ثِقَل هذه الأزمة. فبعد مضي عشرة أعوام تم خلالها إحراز تقدم على نحو مشجع، فمن المحتمل أن تتوقف المسيرة نحو تحقيق أهداف التعليم للجميع، بل وقد تتراجع، وذلك بسبب تداعيات الفقر المتزايد، وتباطؤ النمو الاقتصادي والضغوط التي تتعرض لها المالية العامة. غير أنه من الممكن، حسب التقرير العالمي لرصد التعليم للجميع لعام ٢٠١٠، تدارك هذا الخطر، شريطة أن نبادر على وجه السرعة إلى العمل.

خطر مزدوج: ارتفاع الأسعار الحاد والأزمة المالية

قبل بداية الأزمة المالية، كان ارتفاع أسعار الأغذية قد أخضع بالفعل العديد من البلدان لمحن قاسية. وقد أضرَّ الأثر المزدوج لارتفاع الأسعار والتقهقر الاقتصادي بملايين الأشخاص المستضعفين الذين ستتفاقم أوضاعهم لزمن طويل. ويُضاف إلى ذلك تدهور الظروف الاقتصادية الخاصة بتحقيق الأهداف الإنمائية بحلول عام ٢٠١٥، بما فيها أهداف التعليم للجميع.

ثم إن استفحال حالة سوء التغذية وعودة ظواهر الفقر المدقع لهما تأثير مدمر على التعليم. فالجوع يُعوق التنمية المعرفية للطفل، ويوقف، في بعض الأحيان، إمكانيات تعلّمه على نحو لا رجعة عنه. ووفقاً لمنظمة الأغذية والزراعة للأمم المتحدة، فإن ارتفاع أسعار الأغذية أفضى إلى أن يعاني ١٧٥ مليون نسمة إضافية من حالة سوء التغذية في عامي ٢٠٠٧ و٢٠٠٨. كما زاد عدد التلاميذ في مرحلة التعليم قبل المدرسة والتعليم الابتدائي الذين يعانون من سوء التغذية، وذلك في العديد من البلدان، ومن بينها غواتيمالا. ويُضاف إلى ذلك أن ارتفاع أسعار الأغذية يؤثر تأثيراً ضاراً على إنفاق الأسَر على التعليم: ففي بنغلاديش، على سبيل المثال، يقر نحو ثلث الأسَر الفقيرة بأنها خصصت قدراً ضئيلاً من النقود لتعليم أطفالها، وذلك من جرَّاء ارتفاع الأسعار.

وتفيد التقديرات بأن التقهقر الاقتصادي في عام ٢٠١٠ تسبب في أن ٩٠ مليون نسمة إضافية وقعوا في براثن الفقر المدقع. أما تزايد حالات الفقر فإنه أدى إلى تخفيض إنفاق الأسَر على تعليم أبنائها ، بل وقد يصل بها الأمر، أحيانا، إلى سحبهم من المدارس وإدخالهم سوق العمل: وهو ما ينطبق على العديد من الأسَر التي تضررت بشدة بسبب البطالة في مناجم النحاس في جمهورية الكونغو الديمقراطية.

تباطؤ النمو الاقتصادي خطر يهدد تمويل التعليم

ينبغي أن يعلم الجميع إن تباطؤ النمو الاقتصادي يفرض قيوداً صارمة على تمويل التعليم. ففي أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى، شهدت النفقات العامة، بين عامي ٢٠٠٠ و٢٠٠٥، زيادة بلغت نسبتها ٢٩٪ في التعليم الابتدائي، مما أسهم في توسيع نطاق هذا المجال في المنطقة بأكملها. وتُعزى ثلاثة أرباع هذه الزيادة مباشرة إلى النمو الاقتصادي.

ومن ثم فإن تردي آفاق النمو الاقتصادي قد تكون له آثار سلبية على النفقات العامة المخصصة للتعليم، وهو ما يفضي إلى تقليل إنشاء الفصول الدراسية وتعيين المعلمين الأكفاء، وإلى زيادة عدد الأطفال غير الملتحقين بالمدارس.

وهنا يثور هذا السؤال: ما الذي يعنيه تباطؤ النمو الاقتصادي بالنسبة إلى تمويل التعليم في أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى، حيث يعيش نحو نصف عدد الأطفال غير الملتحقين بالمدارس على الصعيد العالمي؟ إن النفقات التقديرية المستقبلية للدول وفق آفاق النمو قبل ظهور الأزمة وبعدها تعطي فكرة عن تداعياتها. فوفقاً لأحد السيناريوهات، ستشهد النفقات التعليمية انخفاضاً سنوياً يبلغ ٤,٦ مليار دولار لعامي ٢٠٠٩ و٢٠١٠. وهذه الأرقام لا تعدو أن تكون أرقاماً تقديرية، ولكنها تبين بوضوح ضغوط الميزانية التي يفرضها التقهقر الاقتصادي في العديد من البلدان.

ولقد استجابت البلدان الغنية للأزمة المالية عن طريق ضخ استثمارات كبيرة في برامج ترمي إلى إنعاش النمو، وحماية المواطنين المستضعفين وصون البني الأساسية الاجتماعية. وغالبا ما حاز التعليم على الأولوية: ففي الولايات المتحدة تم بموجب قانون الإنعاش وإعادة الإعمار الأمريكي اعتماد ١٣٠ مليار دولار للحفاظ على مستوى نفقات التعليم. وقد أفضت هذه التدابير إلى زيادة ديون العديد من البلدان الغنية.

أما فيما يتعلق بالبلدان الضئيلة الدخل فليس لديها مثل هذه الإمكانيات. ففي أفقر البلدان، تنخفض الموارد الضريبية بصفة عامة، أو تبقى دون تغيير، كما أنه ليس من المتوقع، بالفعل، أن تزداد ديونها. ومن ثم فإن العديد من البلدان الأفريقية ضئيلة الدخل تعتمد بالضرورة على المساعدات الدولية.

انخفاض المعونة المقدمة للتعليم

قبل الأزمة، كانت المعونة المقدمة للتعليم آخذة في الانخفاض خلال السنوات الأخيرة بنسب مُقلقة. فقد ارتفعت على الصعيد الدولي أثناء النصف الأول من العقد، ولكن الالتزامات العالمية لم تتقدم: فقد جاء في تقارير مختلفة أن هذه الالتزامات بلغت ١٢,١ مليار دولار في عام ٢٠٠٧، أي ما يعادل مستوى عام ٢٠٠٤ تقريباً. أما التعليم الأساسي فإن وضعه يدعو إلى القلق بصفة خاصة. فإنْ كانت التعهدات قد ارتفعت بين عامي ٢٠٠٠ و٢٠٠٤، فإنها تراوحت بشكل منتظم بين الركود والانخفاض الشديد. وتمثل قيمة الالتزامات البالغة ٤,٣ مليار دولار في عام ٢٠٠٧ انخفاضاً بالقيمة الحقيقية بما نسبته ٢٢٪ مقارنةً بعام ٢٠٠٦- أي ما يمثل انخفاضاً عما تم التعهد به تبلغ قيمته ١,٢ مليار دولار. وهكذا يكون انخفاض مستوى التعهدات الخاصة بالمعونة المقدمة للتعليم الأساسي هو الأكثر أهمية.

هذا، وتفرض الأزمة المالية ضغوطاً على الميزانيات المخصصة للمعونة. فقد تأثرت بشدة بعض البلدان المانحة، وفي مقدمتها ايرلندا، من الأزمة، مما أدى إلى أن تتوقع الخطط المعلنة في عام ٢٠٠٩ انخفاضاً في المعونة بما نسبته ٢٢٪، وهو ما يمثل تراجعاً أعقب فترة ارتفاع سريع. وعلى العكس من ذلك، فقد تعهدت بلدان أخرى، مثل المملكة المتحدة أو الولايات المتحدة أو اليابان، بالإبقاء على مستوى المعونة المقدمة للتعليم، بل وإلى رفعه.

ووفقاً للتقرير العالمي لرصد التعليم للجميع لعام ٢٠١٠، فإن الأمر يقتضي أن يحظى التعليم في الميزانيات الوطنية بقدر أكبر من الأولوية، وأن يتم رفع مستوى الالتزامات ليصل إلى ١٦ مليار دولار، وذلك لتحقيق تعميم التعليم الابتدائي، وتطوير برامج الرعاية والتربية في مرحلة الطفولة المبكرة وخفض عدد الأميين الكبار، وهو ٧٥٦ مليون فرد، أي ما يمثل ١٦٪ من سكان العالم، بحلول عام ٢٠١٥ في البلدان الفقيرة. أما قيمة المعونة المقدمة للتعليم في الوقت الحالي في ٤٦ بلداً من البلدان المنخفضة الدخل، البالغة نحو ٢,٧ مليار دولار، فهي غير كافية بالقياس إلى الاحتياجات.

وهكذا، فمن الواضح أن قائمة الحساب هذه تتسم بالضخامة، ولكنها لا تمثل سوى جزء ضئيل - أي حوالي ٢٪ من طافية النجاة التي انطلقت في اتجاه ما لا يزيد عن أربع مؤسسات مالية في المملكة المتحدة والولايات المتحدة. وتقول الحكومات، طبعاً، إنه عن طريق ضمان الأصول والإبقاء على مستوى ميزانيات المصارف، فإن ذلك يُعد استثماراً. غير أن تقديم الدعم للتعليم هو أيضاً استثمار في مجالات الحد من الفقر وتشارك الرخاء والانخراط في عولمة تتسم بقدر أكبر من الإنصاف.

ومن هنا جاء نداء إيرينا بوكوفا، المديرة العامة لليونسكو، من أجل القيام بوثبة في هذا المجال، وذلك في توطئة التقرير العالمي لرصد التعليم للجميع لعام ٢٠١٠. «في مواجهة هذه الأزمة»، تقول المديرة العامة «صار لزاماً على الحكومات أن تبادر على وجه السرعة إلى وضع آليات لحماية الفقراء والمستضعفين. كما ينبغي عليها أن تنتهز هذه الفرصة لبناء مجتمعات تكافح عدم المساواة لكي تزدهر بمن فيها ويعمها الرخاء. ويقف التعليم في الصف الأول في هذه المعركة».

«عندما يفقد المرء عمله، فإنه يفكر في أطفاله. ذلك هو ما خطر ببالي قبل أي شيء آخر: كيف يمكن لي شراء ملابسهم الموَّحدة وما يحتاجونه من كراريس، وغير ذلك، عند بدْء السنة الدراسية... كيف يمكن لي إطعامهم مع ارتفاع أسعار الأغذية في الوقت الراهن... إن أطفالي ليس لهم من عائل غيري، فأنا وحدي أتكفل بتربيتهم...».
كينيا فاللي، ماناغوا (نيكارغوا)

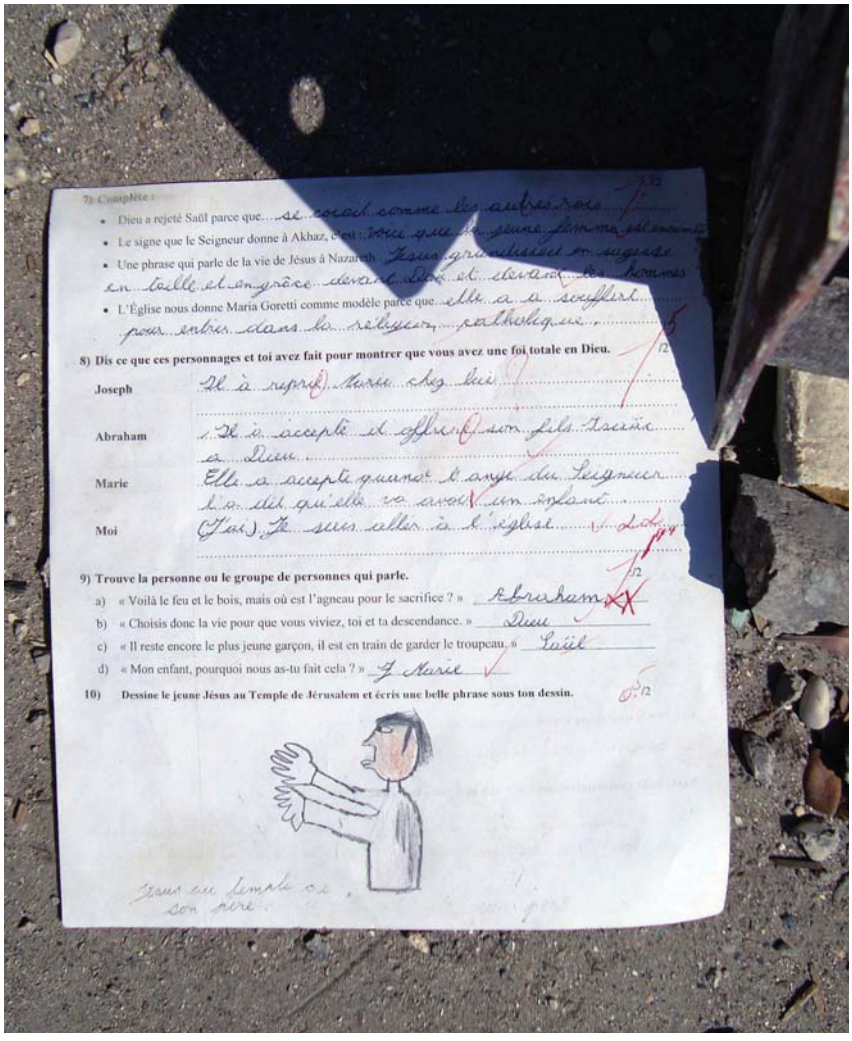

التعليم المهدد بالفشل.

© اليونسكو / فيرناندو بروغنان

© اليونسكو / أختار سومرو

إضـــاءة

التعليم للجميع: نحن لا نفي بوعودنا

بقلم **كيفين واتكينز**

تعهدت الدول المشاركة في المنتدى العالمي للتعليم للجميع المنعقد في داكار (السنغال) في عام ٢٠٠٠، بتوفير التعليم الأساسي لجميع الأطفال في العالم، وذلك في غضون فترة مدتها ١٥ عاماً. وقبل بلوغ هذا الأجل المحدد، وهو عام ٢٠١٥، بخمسة أعوام، فهناك ٧٢ مليون طفل، في سن الالتحاق بالمدارس، لا يتمتعون بحقهم في التعليم.

في وقت مبكر جداً صباح أيام الدراسة، يبدأ العمل في مدرسة «أكوالار»، وهي قرية تقع في منطقة قاحلة في شمال شرق كينيا. وعند وصول تلاميذ هذه المدرسة، في الساعة الخامسة صباحاً، يكون مُعلمهم، إبراهيم حسين (البالغ من العمر ١٨ سنة)، في انتظارهم أمام السبَّورة السوداء، استعداداً لشرح درس في الحساب.

وفي قرية أكوالار، لا تعدو «المدرسة» أن تكون قطعة أرض رملية تحت شجرة سنْط. وتتدلى السبَّورة السوداء من أحد أغصان هذه الشجرة. وليس ثمة طاولات ولا مقاعد. ومع ذلك، فإن ثلاثين طفلاً يتابعون ما يشرحه لهم المُعلم، وذلك باستخدام عُصِي لخربشة أعداد درس الحساب على الرمل.

وإذا كانت الدراسة تبدأ في هذه المدرسة قبل بزوغ الفجر، فإن هناك من الأسباب ما يبرر ذلك، وهي أن الأطفال يتركون المدرسة في الساعة الثامنة صباحاً لمداومة أعمالهم اليومية. فالفتيان يرعون الماعز والبقر مع آبائهم، بينما تذهب الفتيات مع أمهاتهن لجلب المياه من أماكن تبعد مسافة ١٠ كم عن القرية. وعند الساعة الخامسة بعد الظهر، يعود الفتيان والفتيات إلى المدرسة ليواصلوا متابعة الدروس لفترة ساعتين.

ولكن ما هو الوضع التعليمي لأسر الرعاة ذات الأصول الصومالية في منطقة غاريسا، وهي من أشد مناطق كينيا حرماناً؟ في هذه المنطقة يستكمل طفل من كل ثلاثة أطفال مرحلة الدراسة الابتدائية. أما نسبة الفتيات اللاتي يبلغن سن الرشد وأمضين عامين في مرحلة تعليمية فإنها لا تتجاوز ١٠٪.

أما الآباء، الذين تخلت عنهم الدولة، فهم يأخذون على عاتقهم المسؤولية، إذ أنهم يدفعون أجراً، وإن كان ضئيلاً، للمُعلم إبراهيم حسين، وهو من خريجي المدارس الثانوية، ويتيحون وقتاً لأطفالهم يُخصص للدراسة. ولم يتردد في القيام بذلك خديجا علي، والد فاطمة (٧ سنوات) وحسن (٩ سنوات) الملتحقين بالمدارس. ويقول في هذا الشأن «:إنه أمر صعب بطبيعة الحال. ولكنه، بفضل التعليم، سيتمتع أطفالي بحياة أفضل وفرص لم أنالها أبداً».

إن المراد هو أن تبدي الحكومات في بلدان العالم أجمع عزمها واهتمامها بمجال التعليم بمثل هذا النحو. فمنذ عشرة أعوام، تعهدت حكومات البلدان المشاركة في المنتدى العالمي للتعليم للجميع في داكار (السنغال) بالعمل على أن يستفيد جميع الأطفال في العالم بالتعليم الأساسي، وذلك في غضون فترة مدتها ١٥ عاماً. غير أنه لم يتم الوفاء بهذه التعهدات.

© اليونسكو / أختار سومرو

صف دراسي في حيّ من الأحياء الفقيرة في كراتشي (باكستان).

تلاميذ في مدرسة البيجوم هاجرا تغرق في الفيضان الموسمي للقنوات الصحية.

وقبل بلوغ الأجل المحدد لتحقيق هدف التعليم للجميع بخمسة أعوام، فإن السجلات المدرسية تُعبر أبلغ تعبير عن الوضع الحالي: ففي حين يقتضي الاقتصاد العالمي توفير المزيد من المعارف والكفاءات، فهناك ٧٢ مليون طفل، في سن الالتحاق بالمدارس، لا يتمتعون بحقهم في التعليم. كما أن ملايين الأطفال يتركون المدارس قبل نهاية المرحلة الابتدائية. أما إذا تمكنوا من مواصلة الدراسة حتى المرحلة الثانوية، فإن كثيراً منهم يفتقرون إلى المستوى اللازم في القراءة والكتابة والحساب، وهو ما يدل على سوء نوعية التعليم الذي تلقوه.

ومع ذلك فثمة جوانب إيجابية ينبغي الإشارة إليها. فقد أحرزت عدة بلدان من بين أكثر البلدان فقراً تقدماً كبيراً للغاية في مجال التعليم. غير أن الكل يرى أن التعهدات ينبغي الوفاء بها، وفيما يخص التعليم للجميع، فمن غير الممكن أن يتحقق التعليم للجميع مع استمرار الوضع على ما هو عليه: فالواقع أن الأرقام التي نشرتها اليونسكو هذا العام تبين بدون شك أننا إن لم نُسرع في بذل الجهود في هذا الشأن، فسيبلغ عدد غير الملتحقين بالمدارس ٥٦ مليون بحلول عام ٢٠١٥.

ومن ثم فإن تغيير هذا الوضع ينبغي أن يحتل صدارة أولوياتنا. ويُمكن لحكومات البلدان النامية أن تمهد الطريق إلى تحقيق ذلك باتخاذ التدابير السياسية والمالية للوصول إلى الأطفال الأشد حرماناً.

طريق محفوف بالعوائق

إن الذين قد يستفيدون كل الاستفادة مما تتخذه الحكومات من تدابير سياسية ومالية لصالحهم غالباً ما يُحرمون من خدمات المدارس الحكومية. ففي الأحياء الفقيرة أو مدن الأكواخ في جميع أنحاء العالم، من مانيلا حتى نيروبي، يفضي نقص الخدمات الحكومية المناسبة إلى أن تضطر ملايين الأسر الفقيرة إلى اللجوء إلى التعليم الخاص المعتمد على الرسوم، وهو تعليم منخفض الجودة بصفة عامة، غير أن كثيراً من هذه الأسر لا تملك القدرة على ذلك.

وبطبيعة الحال، فإن المشكلات التعليمية ليست منعزلة عن غيرها من المشكلات، فهي ترتبط بأكثر الآفات انتشاراً، ألا وهي: الفقر والتمييز ضد الفتيات والنساء. ففي باكستان، على سبيل المثال، لا تبقى الفتيات من الأسر الريفية الفقيرة في المدارس سوى عامين في المتوسط، وهو ما يعادل أقل من ثلث المتوسط الوطني.

وفيما يتعلق بقطاع التعليم، فإن حكومات البلدان النامية ليست هي وحدها في مؤخرة الركب. كما أن البلدان المانحة لم تف بالتعهدات التي قطعتها على نفسها. ومن أجل أن يحصل جميع الأطفال في العالم على التعليم الأساسي، ينبغي إنفاق ١٣ مليار دولار أمريكي سنوياً كمساعدة إضافية حتى عام ٢٠١٥. غير أنه بعد مرور عدة سنوات من الركود، انخفض في العام الماضي مستوى التعهدات الخاصة بتقديم الدعم للتعليم الأساسي.

والأمر على عكس ذلك تماماً فيما يتعلق بقطاع الصحة. فالأموال المخصصة على الصعيد العالمي لمكافحة فيروس ومرض الإيدز ولأغراض التطعيم قد ركّزت اهتمام السلطات السياسية، وهو ما أفضى إلى تكثيف حجم المساعدة لمجموعات السكان الذين يعانون من العوز.

ومع ذلك، فقد تم تصميم مبادرة المسار السريع، وهي إطار عالمي يعمل تحت إشراف البنك الدولي، لكي تضطلع بدور مماثل في قطاع التعليم. غير أن هذه المبادرة تعرضت لانخفاض مستوى عمليات التمويل اللازمة ومواعيد التسليم البيروقراطية الطويلة الأمد، مما جعل بعض البلدان تنتظر عامين أو ثلاثة أعوام قبل أن تحصل على دعم في هذا المجال.

إن الطريق أمام التعليم للجميع ما زال محفوفاً بالعوائق المتمثلة في نقص المعلمين والمدارس، والأحكام المسبقة الراسخة، والتمييز ضد الفتيات، والفقر المدقع وعدم ملاءمة بعض جوانب التدريس. غير أنه من الممكن التغلب على هذه العوائق إنْ تم تخصيص إنفاق حكومي يتسم بقدر أكبر من الإنصاف، وتقديم دعم دقيق الأهداف لأكثر المجموعات السكانية حرماناً، وصياغة سياسات تجذب المعلمين الأكفاء وتقوم بإعدادهم وتحرص على إبقائهم في عملهم.

هذا، وتُعتبر المؤسسات التعليمية الجيدة وسيلة فعالة لمكافحة الفقر والظلم الاجتماعي والتطرف. ومن ثم فإن الاستثمار من أجل إنشاء مدارس ذات نوعية جيدة إنما هو استثمار من أجل النمو الاقتصادي، والرخاء المشترك والأمان. وقد حان الوقت لكي تعيد الحكومات للتعليم المكانة التي يستحقها، أي مكانة الصدارة في جدول الأعمال الوطني والدولي. ■

كيفين واتكينز هو مدير فريق التقرير العالمي لرصد التعليم للجميع لعام ٢٠١٠ الذي أصدرته اليونسكو في ١٩ كانون الثاني/ يناير.

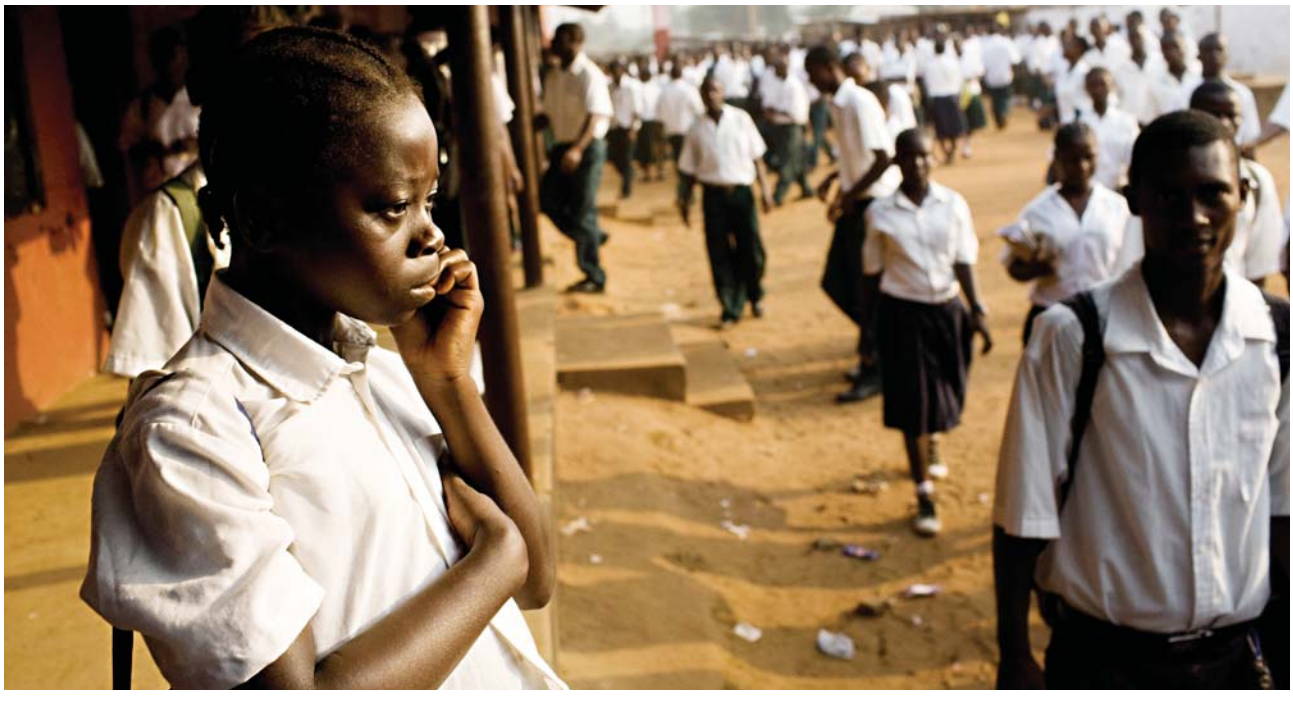

© اليونسكو/ غلينا غوردن

فناء مدرسة في ليبيريا.

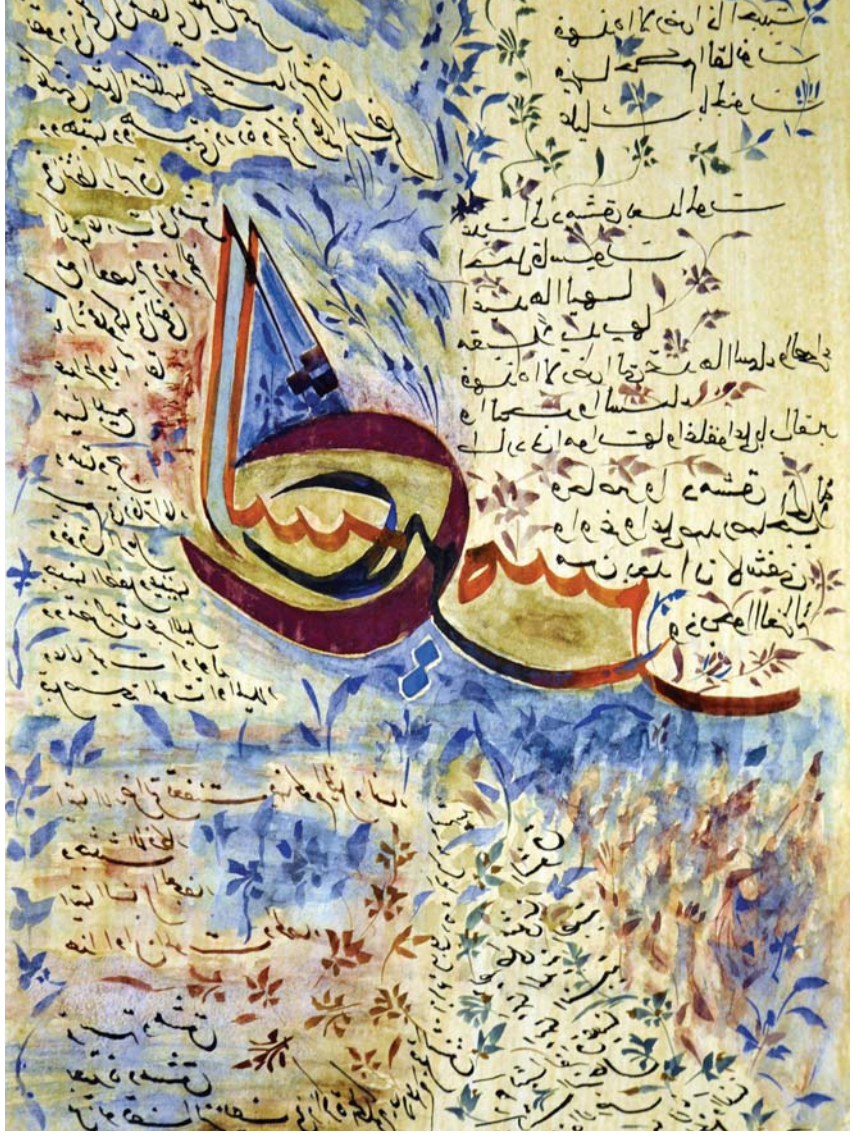

© اليونسكو / باتريك لاجيس

غني العاني: الخط نهر يحمل روافد الفنون

بقلم **بسام منصور، اليونسكو**

«في البدء كانت بغداد» هكذا يرى غني العاني مدينته، بل يرى دورها في تاريخ فن الخط العربي والإسلامي. إنه الدور الأصل، المحور والتي تفرعت منه المدارس الأخرى، الطرائق. وفي الوقت نفسه يسلم أن فن الخط العربي ترعرع ونضج في عدد كبير من عواصم الحضارة العربية–الإسلامية من الأندلس حتى بخارى وما بعد .

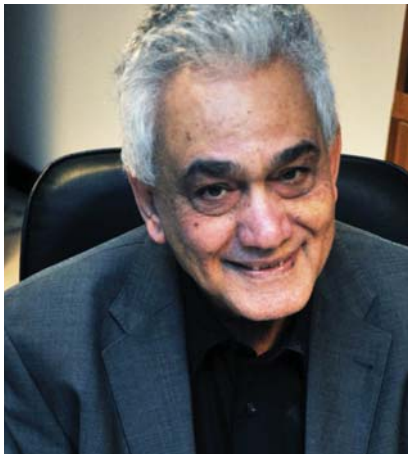

© اليونسكو / باتريك لاجيس

«ولدت والقلم بيدي»، يقول، «لا أعرف، حقا، متى حاولت الخط للمرة الأولى. في الحي الذي ولدت ونشأت فيه كان هناك الكثير من القصب، الذي منه نشذب الأقلام». بدأ العمل منذ صغره. أول عمل له كان في بغداد في محطة سكك الحديد: «كنت أعمل نهارا في تنظيف عربات القطار، ومساء أذهب لأتابع دراستي. ويوم العطلة الأسبوعية، الجمعة، أدرس فن الخط وأمارسه».

يحدثنا عن معلمه في الخط: «أستاذي بالخط اسمه هاشم محمد المعروف بالبغدادي هو وريث شيوخ خط مرموقين تصل أنسابهم إلى المدرسة العباسية قبل اثني عشر قرنا. تعرفت عليه في الثالثة عشرة من عمري. استغرقت في دراسة كتابة الحروف ثلاث سنوات، فإذا أكملت الجزء الأول، بدا لي الجزء الثاني أسهل لأن الحرف يقودك إلى الحرفين والحرفان إلى الكلمة والكلمة إلى الجملة...»

يؤكد العاني أن أستاذه لم يكن يعلمه فقط كيف يعالج الحرف بالقلم بل كان يدفعه إلى إدراك العلاقة بين الكائن والحرف «لأن في الخط شيئا من الروح، أو قل إن في الخط روحا» وما قلم الخطاط إلا امتداد لجسده: «لم يكن الأستاذ يقول لي كيف على أن أشذب القلم وبأي حجم بل كان يلفت انتباهي إلى العلاقة ما بين الجسد والحرف حيث كان يقول: أيدي الإنسان تختلف وطوله يؤثر على حروفه لأن الحرف صورة للإنسان».

«درست عليه كما ورث هذا الفن عن أسلافه بناة المدرسة البغدادية في الخط. وكللت تلك الجهود بالحصول على الإجازة التي لم يمنحها لغيري من التلاميذ على الرغم من كثرتهم. وحين يمنح الأستاذ الشهادة لتلميذه كان يمنحه أيضا حقّ أن يزيّل أعماله

احد الأعمال الفنية للخطاط غني العاني.

بتوقيعه. والشهادة هي ورقة «رسمية» فيها عرفان ببلوغ الحرفة عن حق وحقيقة». ويقرأ لنا ما تقول الشهادة وفيها: «... فلما تحقق لنا أن كاتب هذه الإجازة الجميلة قد أحاط بقواعد الخط العربي وفنونه وألم بجميع أنواعه وفروعه ووصل فيه درجة الإجادة التامة فقد أجزت له بوضع اسمه تحت كتاباته اللطيفة...»

جاء إلى باريس قادما من بغداد سنة ١٩٦٧ «لمتابعة الدراسات العليا بالقانون حيث حصلت على درجة الدكتوراه. وكنت أريد أن أجعل من الخط مجرد إشباع ميل وهوى في النفس وبحيث تكون مهنتي القانون.» لكن الميل والهوى استعادا مكانهما الحقيقي وتحولا إلى حرفة. ورجل القانون ترك ثوبه لتصبح القصبة المشذبة قلما مهنته. «أذكر يوم حصلت على الإجازة بالقانون من كلية الحقوق قال لنا عميد الكلية الذي كان من كبار فلاسفة القانون، في حفل التخرج: «لقد أصبحتم اليوم مهيأين لدراسة القانون». بمعنى أنهم بالكلية أعطونا وسائل التفكير والبحث. والأستاذ هاشم البغدادي كان يقول لنا الأمر نفسه في شأن الخط. وإن اختلفت المفردات فالفكرة هي نفسها.»

بعد دراسته القانون في بغداد درس الفن أيضا: «دخلت معهد الفنون الجميلة في بغداد بعدما أكملت دراسة الحقوق. لقد التحقت بمعهد الفنون نزولا عند رغبة معلمي هاشم البغدادي. وفي تلك السنة بالذات تم استقدام أستاذ كبير من تركيا في فن الزخرفة الإسلامية هو الأستاذ حامد الآمدي، فأفدت من خبرته الغنية فائدة كبيرة. وإنني أمارس الخط والزخرفة في آن. والمعروف أن قلة هم الذين جمعوا بين الزخرفة والخط في تاريخ الخط.»

«حاولت منذ البداية أن أتعرف إلى كنز الحرف والخط في حضارتنا العربية وتخليصه من الشوائب والأدران التي لحقت به مع الوقت. وحاولت انطلاقا مما رأيت وخبرت أن أعمل عبر بلورة فكرة الوحدة والاستمرارية. والخط بهذا المعنى أكثر بلاغة في التعبير عن الوحدة والاستمرارية وكأن الخط نهر يحمل روافد الفنون إلى البحر المحيط».

وما رأيه في الفكرة القائلة إن فن الحرف ازدهر عند العرب لأن التصوير محرم؟ يجيب: «إنها فكرة خاطئة. بدليل أن هناك رسوما في الحضارة الإسلامية، كتركيا وإيران على سبيل المثال لا الحصر. ثم إن في الخط نفسه هناك تصاوير. ولعل الأصح في سبب ازدهار فن الخط عند العرب هو لأن الحضارة العربية حضارة كلمة، وذلك منذ الجاهلية، أي حتى ما قبل الإسلام، حيث كان الشعر الفن الأوحد والشاعر فخرا لقبيلته وأهله. وحيث هناك كلمة هناك خط...»

وعن أصول الخط الشكلية يقول: «يرجع الخط إلى أصلين لا ثالث لهما: المستقيم والدائر. إن هاتين الصفتين متواجدتان في كل كتابات العالم، عبر كل العصور. منذ الكتابات التصويرية فالكتابات «الفكرية» وثم «الصوتية»، أي الأبجدية التي بنيت الكتابة المسمارية على شكلها أي على الشكل الأبجدي أو شكل المقاطع الصوتية. منذ اختراع الكتابة المسمارية كانت الخطوط بنوعي المستقيم والدائر. ولنا في كتابات وادي الرافدين شواهد وأمثلة كثيرة على ذلك. وعلى رأسها نص تشريع حمورابي، الذي تتميز حروفه باستقامتها خلافا لما كان يستعمله الناس فيما بينهم آنذاك».

لك رأي خاص بالخط الكوفي: «لم أسم يوما الخط المستقيم بالخط الكوفي. لأن الذين أعطوه هذه التسمية وقعوا في خطأ كبير باعتبار أن كل خط مستقيم وذي زوايا هو خط كوفي. والحقيقة غير ذلك. فإن هذه الكتابة ترقى إلى أزمنة قبل نشوء الكوفة، إلى زمن قصائد المعلقات. أنا أسمي هذا الخط المزوى لا الكوفي، على الرغم من أن الكوفة حسنته فيما بعد واستعملته على نطاق واسع، سواء في المخطوطات أو في العمارة. وإلى جانب هذا الشكل، المزوى، ابتكرت المدرسة العباسية، وعاصمتها بغداد، نوعا مدورا بأساليب مختلفة منها الثلث والديواني والنسخي، وهذا الأخير كان الحرف الذي اعتمد للمطبعة».

© اليونسكو / باتريك لاجيس

« الحضارة العربية هي حضارة الكلمة».

الرئيس سام نجوما، في اليونسكو، في عام ٢٠٠٤.

© اليونسكو/ ميشال رافسار

المساواة بين الجنسين: ضرورة لا بدّ منها لتحقيق التنمية

سام نجوما الرجل الذي قاد جمهورية ناميبيا إلى الاستقلال عام ١٩٩٠ والذي كان رئيسا لها لمدة ١٥ عاما هو واحد من القادة السياسيين التاريخيين في أفريقيا. وثمة جانب غير معروف من نضاله ألا وهو التزامه بتحقيق المساواة بين النساء والرجال. يتحدث هنا إلى هانس دورفيل وكلير ستارك عن آرائه بشأن الدور الذي يرى أنه يعود إلى النساء في بلده وعلى الصعيد الدولي عل حدّ سواء.

السيد الرئيس، إنك معروف في العالم أجمع باعتبارك من الرعيل الأول من المناضلين من أجل استقلال بلدان أفريقيا، ولكنك أيضا مدافع عن المساواة بين الجنسين. هل لك أن توضح لنا رأيك في هذا الموضوع؟

إن المساواة بين الجنسين أمر ملح بالفعل ولا سيما في البلدان النامية. في الماضي كان الرجال والنساء يؤدون أدوارا نوعية بحسب كل منهما. أما اليوم في المجتمع الحديث، مجتمع المعلوماتية، لا يمكن أن تظل هذه الأدوار على ما هي. فالنساء يعملن في مجالات كانت في الماضي حكرا على الرجال، وعلى الرغم من ذلك لا يزال هناك الكثير مما يتعيّن إنجازه في هذا الصدد. إننا في حاجة إلى المزيد من الرجال والنساء كي نجني ثمار الموارد الطبيعية التي يزخر بها بلدنا. من الواضح أن الجميع عليهم أن يشاركوا حتى يتسنى لنا أن نقضي على الفقر.

ماذا كان دور النساء في حركة تحرير بلدكم؟

لقد اضطلعت النساء بدور محوري في

تتحدث عن قصائد المعلقات كشواهد على ذلك علما أن هناك من يشكك بوجود هذه المعلقات أصلا. يجيب: «قد تجد من يشكك بوجود المعلقات ولكن وجود نصوص عربية مدونة بالحرف العربي قبل الإسلام أمر لا شك فيه. هناك نصوص وثائق ومعاهدات واتفاقيات موجودة محفورة فوق صفائح حجرية عثر عليها وتعود إلى ما قبل الإسلام وهناك محفورة فوق الصخر في بعض المواقع الثرية وأشهر هذه النصوص موجود في مدائن صالح*» في المملكة العربية السعودية.

يعيش في باريس منذ أكثر من أربعين عاما كيف كان تفاعله مع الغرب؟ يقول: «أنا أعيش في أوروبا وكان تفاعلي مثمرا مع المجتمع الأوروبي أخذا وعطاء. علما أن هناك مفازة كبيرة بين الفكر العربي والفكر الغربي. إن الفكر العربي، كما قلت من قبل، هو فكر الكلمة أما الغرب ففكره قائم على الصورة. وإن كانت الكلمة تحتضن الصورة والمثل الأكثر تعبيرا عن ذلك هو الشعر، الذي هو «ديوان العرب» كما قال الأقدمون...»

عن حصوله على جائزة اليونسكو/ الشارقة للثقافة العربية يقول: «إن في هذا كثيرا من المعاني أولها أن لجنة دولية للتحكيم قدمت اعترافا صريحا بأن الخط فن قائم بذاته وهو من روح هذه الحضارة والهيكل العظمي لثقافتها. والمعنى الأهم لهذه الجائزة التي منحت لي اليوم كفنان عراقي هو في كونها تتيح للناس أن ترى وجها آخر للعراق، مختلفا عن صور التفجيرات والقنابل والدم المسفوك التي تملأ شاشات العالم».

منحت جائزة اليونسكو–الشارقة للثقافة العربية لعام ٢٠٠٩ إلى الشاعر وفنان الخط العراقي، غني العاني، والناشرة البولندية أنا بارزيميس. تأسست هذه الجائزة عام ١٩٩٨، وترمي إلى تمييز شخصيات أو جماعات أو مؤسسات أسهمت على نحو بارز في ترويج الثقافة العربية في العالم وفي صون وإحياء التراث العربي غير المادي. ■

* موقع مدرج على قائمة التراث العالمي

معركتنا من أجل التحرير. كان لدينا كتائب كاملة من النساء وكثيرا ما كنّ أصلب من الرجال. في المؤتمر الثالث للمنظمة الشعبية لأفريقيا الجنوبية الغربية (سوابو) الذي عقد في عام ٢٠٠٢ اعتمدنا قرارا يلزمنا باحترام المساواة بين الجنسين في تشكيل الوفود الإقليمية. وطالب المؤتمر أيضا اللجنة المركزية بتطوير آلية تضمن انتخاب ما لا يقل عن ٣٠٪ من النساء بين صفوفه. والواقع أن امرأة هي التي يقود السوابو اليوم. وهي السيدة بندوكيني إيفولا- إيثانا الأمينة العامة للمنظمة، وتشغل أيضا منصب وزيرة العدل.

هل تطبق حكومة ناميبيا هذه السياسة أيضا؟

إنه هدف حددناه ولكننا لم نحققه بعد. وفي الوقت الحاضر يشغل ٢٢٪ من النساء مقاعد في الجمعية الوطنية. وعلينا أن نفي بالتزاماتنا إزاء كل من الجماعة الإنمائية للجنوب الأفريقي، وهي تجمعنا الاقتصادي الإقليمي، والاتحاد الأفريقي، إنها تفرض علينا أن يتبوأ منصب الوزراء ٥٠٪ من النساء بحلول عام ٢٠١٥.

هل سيتعيّن تخصيص مزيد من الأموال للمساواة بين الجنسين في الميزانية الوطنية بغية تعزيز دور النساء؟

لا أعتقد أن هناك ضرورة لزيادة الميزانية الوطنية من أجل تعيين نساء في الحكومة وإنما أعتقد أنه لا بد من زيادة اعتمادات الميزانية من أجل تمكين جميع أطفال مقاطعات السوابو من الانتفاع بالمعلوماتية حتى يكونوا مسلحين للنجاح في عالم اليوم المعولم.

إن التعليم هو أحد مفاتيح التنمية. عندما حققنا الاستقلال كانت نوعية التعليم تتوقف على لون البشرة والأصل العرقي مما كان بطبيعة الحال في صالح «البيض». وكان نظام الفصل العنصري هو الذي فرض هذا الوضع وكان علينا أن نقضي عليه وننطلق من الصفر. وتولى رئيس الوزراء الحالي السيد نحاس أنغولا، الذي كان وزيرا للتعليم والثقافة والشباب والرياضة عندما استقلت ناميبيا في عام ١٩٩٠، إصلاح نظام التعليم الذي أصبح اليوم نظاما ممتازا بفضل جهوده.

هل تستهدف المشروعات الإنمائية النامييبة النساء بالقدر الكافي؟

في ناميبيا يجري تشجيع النساء على المشاركة في تنمية البلد بجميع الأشكال.

ما هو رأيكم في المساواة بين الجنسين في المنظومة المتعددة الأطراف؟ هل تعتقدون أن الوضع مرْض أم أنكم ترون أنه من الضروري تعزيز الاتجاهات الراهنة؟

قد أقول إن ٨٥٪ على الأقل من جميع الوكالات المتخصصة في منظومة الأمم المتحدة ينبغي أن ترأسها النساء إذ أنهن أكثر مقدرة على معالجة المسائل المرتبطة بتعزيز التنمية البشرية. ■

هانس دورفيل، مساعد المدير العام للتخطيط الاستراتيجي

كلير ستارك، مساعدة أخصائي برنامج، مكتب مساعد المدير العام للتخطيط الاستراتيجي

إن هذا الباب الذي استهله مكتب التخطيط الاستراتيجي باليونسكو يتناول موضوعات مستقبلية تحظى باهتمام كل من عامة الجمهور والدول الأعضاء في المنظمة. وتعرض في هذا الباب آراء وأفكار من شأنها أن تسهم في رفد ما تضطلع به اليونسكو من نشاط فكري وبرمجة وأنشطة في مختلف مجالات اختصاصها.

يشغل اليوم عدد متزايد من النساء وظائف ذات مسؤولية في منظومة الأمم المتحدة. وقد انتُخبت البلغارية إيرينا بوكوفا على رأس اليونسكو في شهر تشرين الأول/أكتوبر ٢٠٠٩. وتدير منظمة الصحة العالمية مرغاريت تشان، وبرنامج الأغذية العالمي تديره جوزيت شيران، ومنظمة الأمم المتحدة للطفولة (اليونيسف) تديرها آن مرغاريت فينيمان، وبرنامج الأمم المتحدة الإنمائي تديره هيلين كلارك، و صندوق الأمم المتحدة للسكان تديره ثريا عبيد.

موقع أوكساباما- أشانينكا- يانيشا، في منطقة غابة الأمازون في بيرو، الذي تم إدراجه ضمن معازل المحيط الحيوي في حزيران/ يونيو ٢٠١٠. © سيزار لورا

أضيف ١٣ موقعاً جديداً إلى الشبكة العالمية لمعازل المحيط الحيوي، في حزيران/ يونيو ٢٠١٠. وبذلك، أصبحت الشبكة العالمية تضم ٥٦٤ موقعاً في ١٠٩ بلدان.

وتمثل معازل المحيط الحيوي مناطق تم تحديدها بموجب برنامج الإنسان والمحيط الحيوي (ماب) لتكون أماكن تتيح اختبار مختلف نهوج الإدارة المتكاملة للموارد الأرضية والساحلية والبحرية، وموارد المياه العذبة والتنوع البيولوجي. وتُعتبر معازل المحيط الحيوي بالتالي بمثابة مواقع لاختبار نهوج التنمية المستدامة واستخلاص الدروس منها.

اقرأ:

البيان الصحفي

http://www.unesco.org/new/ar/media-services/single-view/news/unesco_announces_selection_of_13_new_biosphere_reserves/

طبع على الورق المعتمد من قبل برنامج إقرار خطط إصدار الشهادات الحرجية.

تحتفل اللجنة الدولية الحكومية لعلوم المحيطات بالذكرى الخمسين لإنشائها هذا العام. مهمتها الرئيسية: تعزيز التعاون الدولي في مجال المحيطات والمناطق الساحلية

www.ioc-unesco.org

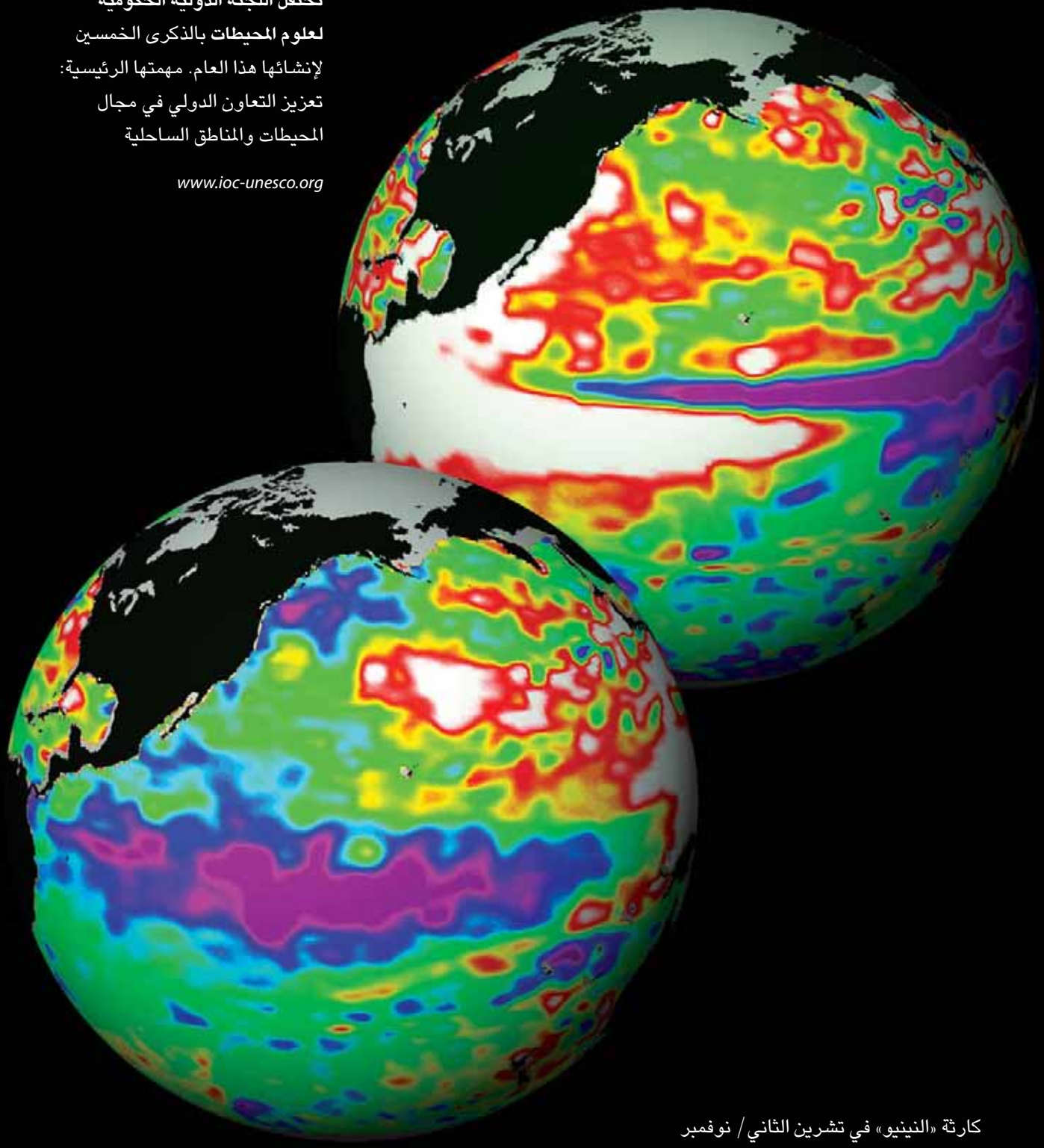

كارثة «النينيو» في تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٩٧ وظاهرة "النينيا" في آذار مارس ١٩٩٩. صور للمحيط الهادي تبين تقلبات مستوى البحر وتتيح فهم التفاعلات بين المحيط والجو التي تؤثر على الأحوال المناخية.

© ناسا